رواية

أبو السباع

(عندما لا يملك الإنسان إلا كرامته)

فهد دربالة

obeikandl.com

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : أبو السباع
المؤلف : فهد دربالة
تصنيف الكتاب : رواية
إخراج عام : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٤٣٩٢ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 630 - 2

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

obeikandl.com

إهداء

(إهداء إلى رجال قد غمرهم التراب)

إسماعيل أحمد بيومى دربالة

مجاهد على عبد الرازق دربالة

مسعد عبد الحميد محمد دربالة

obeikandi.com

obeikandl.com

مقدمة

(لا)

تلك الكلمة التى يستهين بها البعض، ولسوف تعلم يوماً أنها من الممكن أن تُغير مسارك فى تلك الحياة إلى الخير والنجاح، فالكثير من الناس ليس لديه الجرأة على نطق هذه الكلمة البسيطة خوفاً من أن يُحزن أشخاصا أو أن يتراجع عن رأي كان خطأ، ويظل يائسا من رفضه لنطق هذا الكلمة فى ذلك الوقت وبعد فوات الأوان، فمن الناس من يظل محبوسا داخل نفسه أو يقوم بعمل هو رافض له لسبب بسيط، وهو أنه لا يريد أن يقول (لا) فى ذلك الموقف، فعلينا أن نتعلم جيدا أن هذه الكلمة تغير هذا المسار فى كل شئ، فعليك أن تتدرب على أن تقولها فى أوقات مهمة وتحتاج إلى رفضك وعدم قبولك إلى ما يدور حولك، فقلها حتى لا تندم بعد فوات الأوان .. قل (لا) للخوف.. (لا) للاستغلال .. (لا) للسيطرة على عقلى ورأيي ..

obeikandl.com

(لا) لأى شخص يدخل حياتى دون إذن منى، وقتها ستشعر بالتغيير فى حياتك، وقتها ستحترم نفسك وذاتك و حتى لا تندم يوما على قبولك لأشياء لم تردها فى حياتك، فبهذه الكلمة ستجد التغيير فى أشياء كثيرة من حولك، فعليك أن تنطق بكلمة مناسبة فى أى موقف تجد نفسك فيه، ولا داعى أن تفعل أشياء الغرض منها إرضاء الآخرين ، فلو كان يريد إرضاءك فما كان يطلب منك ذلك، فالحياة ستعيشها مرة واحدة، وعليك أن تفعل ما تحب لإرضاء نفسك ، وإن كان بإمكانك إرضاء الآخرين دون الضرر بنفسك، افعل، فالحياة جميلة فلا نريد أن نُضيعها فى أمل الرجوع إلى الماضى لنرفض أشياءً قبلناها من قبل، ابدأ من الآن، غير مسارك إلى الأحسن برفضك للأشياء التى تضرك وتتعبك فى هذه الحياة، فلا داعى أن نجامل الآخرين على حساب أنفسنا؟

(أتمنى لك قراءة ممتعة)

وفى حديقة تكسوها أشجار البرتقال من جميع الاتجاهات، وبين الأشجارتقف بنات مصطفات لجمع محصول البرتقال ووضعه فى بدرية كبيرة ليملؤنها وبعد ذلك إلى صناديق تسمي (عدايات) خاصة لبيعه فى الأسواق .. يهب شجار بين أحد الشباب، والأصوات تتعالى بين الأشجار فتجتمع البنات عند الصراخ وهناك يقف أحد الشباب وهو (إسماعيل)، شاب فى سن الثانية والعشرين من العمر، قصير القامة، أبيض الوجه، يكسو الوجه شنب خفيف، وشعر الرأس أسود ناعم وعيونه كالصقر، يرتدى جلبابا أصفر ويقف بعد أن تشاجر مع (عبد الهادى) المسئول عن المزرعة والذي يقوم بتوريد البنات لجمع المحصول ..هو شاب فى سن الخامسة والعشرين من العمر، طويل القامة ونحيف، و بشرة الوجه قمحاوية، ذوشنب خفيف أسود ويرتدى بدلة عسكرية قديمة من نفايات خدمته فى الجيش سابقا. وكان (عبد الهادي) يتشاجر مع (إسماعيل) حتى يقوم (البيه) صاحب المزرعة، بطرده فتشاجر معه فى حمل البرتقال خلف البنات.. يأتى من بعيد رجل يرتدى بدلة ويمسك بشمسية يمشى نحو الشباب وقبل أن يقترب منهم ينظر (إسماعيل) إلى (عبد الهادى) الذى يقف ويمسك فى يده عصاة نزعها من إحدى الأشجار و يُهوش بها نحوه .. وفى حركة سريعة يمسك (إسماعيل) العصاة منه ويضربه بها، فيسرع البيه نحوهم وهو يقول:

– بس ياض .. يا ابن الكلب

ويرقد (إسماعيل) على (عبد الهادى) بعد أن عرقله من قدمه وأوقع به على الأرض ويضربه بيده على وجهه،

يمسك البيه (إسماعيل) ويرفعه من على عبد الهادى وهو يقول:

- قوم يا ابن الكلب ..

يقوم (إسماعيل) بعد أن تمزقت ملابسهما والبنات تقف من حولهم، ويقول البيه لـ (إسماعيل) بحدة وغضب دون أن يعرف السبب:

- أنا مش عايز اشوفك هنا تانى .. انت فاهم.

ينظر إسماعيل إلى عبد الهادى بعد أن سمع البيه يقول له هذا، فيجده يبتسم وهو ما كان يريده منذ أن عمل إسماعيل فى المزرعة وعرف بسرقته لعدايات البرتقال وغيرها من المحصول من خلف البيه، فكان يخلق الخلاف دوماً بينهما فينظر إلى البيه :

- مش تعرف الأول إيه اللى حصل يا (جوجو) بيه؟

وفى حدة وغضب وهو يمسكه من كتفه :

- مش عايز اعرف إيه اللى حصل.. انت تطلع بره المزرعة وما اشوفكش هنا تانى.

وبعد أن أدرك (إسماعيل) أنه قد طُرد ولن يعود إلى هنا مرة ثانية، طالبه بالأموال التى عمل بها طيلة هذه المدة:

– خلاص .. هات الخمستاشر جنيه اللى اشتغلت بيهم وانا هامشى ..

– ولا خمستاشر ولا ستاشر، وإذا شفتك هنا هاربطك انت واللى جابوك فى شجرة من دول.. انت فاهم!

ينظر إليه (إسماعيل)فى حزن شديد:

– لا دا حقى اللى اشتغلت بيهم، ومش هامشى إلا لما آخد الفلوس ..

– أنا باقول لو شفتك هنا تانى هاموتك، ولو فضلت واقف هاضربك بالنار واقول كان بيسرق من المزرعة.

وينظر إلى البنات والتجمعات ويقول:

– اللى يشوف الواد ده هنا يقول لى علشان مااخلهوش يخرج من السجن طول عمره..

ويلكمه جوجو بيه في كتفه وهو يمشي من أمامه وإسماعيل ينظر إلى من حوله فى كسرة نفس ..

– ياللا . .غور من هنا.

يمشى إسماعيل بين الأشجار فى خطوات صغيرة والجميع ينظر أليه وهو يفكر ماذا يفعل بعد أن أكل جوجو بيه عليه أمواله التى عمل بها طيلة هذه المدة فى المزرعة لكى يجمع مهر عُرسه على بنت قد أحبها فى القرية بعد أن رآها فى مولد الفرغل العام

الماضى، وتعهد أنه سيعمل جاهدا حتى يتقدم إلى خطبتها .. وبعد أن ابتعد إسماعيل عن التجمعات أخذ يفكر، هل يعود إلى البيت أم ينتظر ليأخذ حقه بأى شكل من الأشكال، وينظر حوله فيجد نفسه أمام الاستراحه التى يجلس بها جوجو بيه، وهى تعتبر البيت الذى يقضى فيه البيه وقت الاسترخاء بعد الخروج من الوزارة، فقد كان يشغل منصبا مرموقا فى وزارة الداخلية فى عهد الملك فاروق، وبعدها اعتزل السياسة، ومن وقت إلى آخر يأتى إلى هذه المزرعة التى اشترها بعد الثورة وكانت منقسمة إلى أجزاء فى الزرع، تجد فيها جميع أشجار الفواكه من عنب وبرتقال ومانجو، وتجد فى ناحية الغرب مكانا مخصصا لزرع الخضار فهى من أكبر المزارع المتواجدة فى هذه المنطقة وليس هى فقط من أملاك جوجو بيه فهو يملك شركة نقل بحرى مقرها فى إنجلترا والتى يديرها ابنه الوحيد، جوجو بيه لم يفكر يوما أنه خرج من الوزارة على غير إرادته ولكنه كان يحب أن يكون أعلى من غيره فى التعامل معه؛ فإن تكلم أحد معه فمن الضرورى أن ينطق بلفظ البيه أو الباشا ليستكمل الحديث معه، أو ينظر إليه البيه، فهو لا يعترف بالثورة وكان يقول: شوية عيال مسكوا لجام الخيل التى تسحب عربة فيها الشعب فمن المؤكد أن تمشى الخيل فى الطريق غير المؤهل لها فيحس الشعب الذى يركب فى العربة بمرارة الطريق وتعبه. ويعتبر هو الناجى الوحيد من المقربين من وزارة الداخلية بحكم استقالته التى قدمها قبل

الثورة بسنوات قليلة ولم يخرج من مصر بحكم الصداقة التى تربطه باللواء محمد نجيب. وعملت شركته فى نقل سلع مصر إلى جميع أنحاء العالم بعد الثورة حتى يعلم الضباط أنه راضٍ عن حكمهم .. رجل يقترب من الستين من العمر ولكن يحتفظ برشاقة بين زملائه فى هذا العمر، أبيض الوجه، طويل القامة، شعر الرأس أبيض كثيف وشارب أبيض يغزو الوجه ولا تفارق السيجارة المارلبورو يده أو فمه إلا قليلا.

يفكر إسماعيل قليلا ويراقب الطريق ويقترب من زيرٍ عليه كوب بلاستيكى بجوار سلم الاستراحة، ويقترب من الزير وهو يلتفت يمينا ويسارا، يمسك الكوب ويرفعه إلى فمه ليشرب، ولكن الحقيقة أنه كان يأخذ وقتاً ليعرف إن كان هناك من يراه من العمال المتواجدين فى المزرعة أم لا، ينزل الكوب على غطاء الزير وفى سرعة بادية يصعد على سلم الاستراحة ويقف فى براندة الاستراحة وينظر يمينا ويسارا فيجد باب الاستراحة مغلقا فيعود وقد أخفى جسمه خلف جدران البراندة وينظر خلفه ليعرف هل أحد رآه أم لا، فيجد جوجو بيه يأتى من بعيد ومعه عبد الهادى الذى تشاجر معه، وفى سرعة يدس إسماعيل نفسه خلف عدايات البرتقال المتواجدة فى براندة الاستراحة ويضع عليه قليلا من العدايات الفارغة، ويستمع إلى أقدام جوجو بيه وهو يصعد السلم ويقول إلى عبد الهادى:

– ماتأخرش بكرة العيال علشان تلحق تخلص الناحية القبلية وشوف حد مع الواد علشان يرش الطماطم

– حاضر يا بيه.

علم إسماعيل أن عبد الهادى سيمشى هو والعمال ويأتى غدا. انتظر قليلا خلف العدايات حتى يطمئن أن جميع من فى المزرعة قد غادروها .. واقتربت الشمس من الغروب، يخرج من خلف العدايات قبل أن يأتى غفير المزرعة التى يحرسها ليلاً فيجد الباب مفتوحا يدخل منه وهو يراقب خطواته، وبعد أن دخل الاستراحة التى يجلس فيها جوجو بيه بمفرده وهى مبنية على هيئة فيلا من الدخل.. الاستراحة عبارة عن دورين، فى مقابل الباب سلم فى منتصف البيت وغرف وأبواب غرف مغلقة، ينظر بعيدا يجد مكتب جوجو بيه مفتوحا والأنوار مضاءة فيه، يعلم أن البيه موجود هناك، يقترب من المكتب بعد أن أغلق باب الاستراحة خلفه حتى لا يدخل أحد بعده. يجلس جوجو بيه على المكتب ويراجع بعض الحسابات وهو مشغول و أمامه على المكتب علبة السجائر وولاعة والطبنجة الخاصة بالبيه . يلمح البيه خيال أحد يأتى من بعيد نحو المكتب فيقول:

– رحومه ..

رحومه هو الذي من المؤكد أنه سيأتى فى هذا الوقت، إنه الغفير الذى يحرس المزرعة فى الليل . يُظهر إسماعيل نفسه للبيه، وعندما رآه جوجو بيه قال في غضب:

– هو انت لسه هنا يا ابن الكلب .. وكمان داخل لحد هنا

وفى سماحة وذل يستسمح إسماعيل الشاب الضعيف والمكسور الذى يريد أمواله ليذهب من المزرعة أو يرضى عنه البيه ليعود إلى العمل مرة ثانية ..

– بس انا عايزك تسمعنى يا جوجو بيه .

– أنا مش عايز اسمعك ..انا عايزك تطلع بره ..

قالها البيه وهو جالس خلف مكتبه ويشير بيده ليخرج إسماعيل ولكن رد عليه فى كسرة نفس:

– والله انا ماكلمته .. دا هو اللى بيحاول يكرهك فيّ علشان بيسرق فى عدايات الفاكهة والخضار وخايف مني لأقول لك

– هو برضه اللى بيسرق.

يبتسم البيه قليلا

– نهايته ..انا قلت اطلع بره ومش عايز اشوف وشك تانى .

وقتها علم إسماعيل أنه لن يتراجع عن طرده من المزرعة

– طب والشغل اللى اشتغلته عندك طول الفترة دى .. مش هتدينى الخمستاشر جنيه اللى اشتغلت بيهم؟

– مالكش فلوس عندى ولو فكرت تقرب من المزرعة تانى هاخلى (رحومه) يطُخك .. انت فاهم؟

علم إسماعيل أنه أمام رجل جبار لا يرحم ولا يغفر لشاب فى بداية حياته ولا يسمع إلا لنفسه وكبريائه. وبعد أن تخلص إسماعيل من التمثيلية التى أعدها إليه والمشهد الحزين الذى أداه ليقنع البيه كي يعيده إلى العمل أو يعطيه الأموال التى عمل بها .. ينظر إسماعيل إلى المكتب فيجد علبة السجائر والطبنجة، نظر إليهما و فكر إسماعيل كيف يقترب من المكتب وفى نفس الوقت عاد جوجو بيه للنظر فى الحسابات المتواجدة أمامه ولم ينظر إلى إسماعيل ولا يعطى إليه أى اهتمام .. فقال فى حزن وضعف وقلة حيلة لما ضاع من مجهود:

– طب ممكن سيجارة وانا هامشى ومش راجع تانى؟

نظر إليه البيه فى اشمئزاز وأخذ نفسا من أنفه وأخرجه من فمه وهو يقول :

– يا صبر أيوب!

يمسك البيه العلبة ويخرج منها سيجارة ويمد يده إلى إسماعيل وهو جالس فيقترب إسماعيل من المكتب وعيناه على الطبنجة .. ولم يستغرق إسماعيل كثيرا حتى أمسك بالطبنجة من على المكتب

obeikandl.com

وابتعد قليلا وشد الأجزاء ووجه الطبنجة نحو البيه . ينظر إليه البيه ويقف متعجبا من إسماعيل ، وفى حدة وصوت مرتفع يقول إسماعيل :

– اقعد مكانك وخليك هادى كدا.. ياله بالراحة كدا وطلع عشرين جنيه من الدرج .

وفى تكبر وخوف فى نفس الوقت يقول البيه:

– سيب السلاح يا إسماعيل .

يبتسم إسماعيل وهو يقول :

– إيه مالك؟ ما انت كنت بتكلمنى من مناخيرك وقرفان منى حصل إيه!

ينظر البيه إلى إسماعيل ويريد أن يخرج من خلف المكتب فيطلق إسماعيل رصاصة بجانب أذنه ويقول:

– قلت لك خليك هادى . انا اللى معايا السلاح مش انت ..

اقعد .

قالها إسماعيل فى عنف فنظر إليه البيه وجلس وهو يقول:

– انت مفكر انى هاسيبك لو خرجت من هنا سليم.. هاجيبك وساعتها مش هارحمك ..

ابتسم إسماعيل فى خوف .

obeikandl.com

– خلينا فى دى الوقت يا جوجو بيه، طلع عشرين جنيه وإلا الرصاصة التانية فى دماغك .

ينظر البيه إلى إسماعيل وبصوت عالٍ يقول:

– رحومه ..

يبتسم إسماعيل ويقول:

– لسه ماجاش ..احنا فين ورحومه فين .. طلع.

فكان البيه يستنجد برحومه لينقذه من إسماعيل ولكن فى هذا الوقت لم يكن رحومه أتى من البيت.

فينظر إسماعيل إلى جانبه فلم يجد إلا حبل ستارة شباك

أمسك الحبل وشده، انقطع من الستارة وبعد أن أخرج البيه العشرين جنيها من الدرج اقترب منه ووضع السلاح على رأسه، وربط إسماعيل البيه فى الكرسى وخرج من الاستراحة وهو يراقب الطريق ويحمل السلاح، وقبل أن يغادر المزرعة يجد رحومه يدخل المزرعة وهو يحمل البندقية الآلية الخاصة به، رجل طويل القامة مفتول العضلات، له شارب أسود كثيف يغطى الفم، يرتدى جلبابا أسود وعمة على كتفه ويلتفت يمينا ويسارا، فيخبئ إسماعيل الطبنجة فى الجلباب ويقول رحومه عندما لقى إسماعيل ممزق الجلباب:

– إيه ياض اللى عمل فيك كدا؟

obeikandl.com

نظر إليه إسماعيل وفى خوف:

- وقعت من على السجرة ..

قالها إسماعيل وهو لا يريد أن ينظر إلى عين رحومه الغفير خوفاً من أن يقرأ أنه خائف من شئ فيمسك به. ويذهب من أمام رحومه، ورحومه يمشى فى بطء، ينظر إسماعيل خلفه ليعلم أن رحومه لم يراقبه ويسرع فى الخروج من المزرعة.

(رحومة عبد الجواد)، اسم ستسمع عنه فى نواحى سقارة ومركزى العياط والبدرشين، رجل لم يخش أحدا على هذه الأرض، فالقتل عنده أسهل من أن يخرج سيجارة ويشعل النار بها، فعندما يسمع الخصم اسمه يتنازل عن حقه حتى لا يخسر أكثر مما خسر، يعلم أنه قوى ومسنود بعائلة عريقة فى زاوية (دهشور) ومعرفته بالكثير من البهوات والرتب اللذين يحرس مزارعهم فى سقارة، فإن كان أحد قد قتل ابنه أو أخيه وهو ضعيف أو كبير فى السن فلا داعى أن يقلقك ذلك فرحومة جدير بأن يأتى بمن قتله فى شوال أو يقتله نيابة عنه، فهو فتوة المجرمين وقاطع الطرق فى هذا الوقت ولا أحد يستطيع الهرب منه فى الشرق أو الغرب لكثرة معرفته بالمشاغبين فى كل مكان، ويذكر أنه كان له أخ قُتل فى أحد الشجارات فلم ينم حتى أخذ مقابل أخيه اثنين من الخصم وقاموا بعمل ميعاد وتم الصلح بين القاتل والمقتول . يقترب رحومه من الاستراحة بعد أن مر

فى المزرعة وتأكد من سلامة المكان، ويدخل من باب الاستراحة المفتوح، يسمع صوت البيه وهو يقول باستجداء:

- رحومة .. رحومة .

يسرع رحومة وهو يوجه سلاحه إلى المكتب ويدخل يجد البيه مربوطا فى الكرسى وهو يقول:

- جوجو بيه .

ينزل السلاح على الكرسى أمام المكتب ويفك الحبل والبيه يقول:

- الحق الواد إسماعيل..

يقف رحومة فى ذهول مما فعل إسماعيل الشاب الصغير الذى لم يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر .. كيف يعمل فى البيه هكذا!!

- إسماعيل .. مين

قالها رحومة وهو يفكر إن كان هناك غير إسماعيل الذى يعمل معهم والذى قابله فى الخارج، ولكن فى غضب وبصوت عالٍ

- الواد اللى شغال معانا فى المزرعة يا رحومه

يمسك رحومة السلاح وينظر إلى البيه وهو يقول:

- دا تلاقيه لسه ماخرجش من باب المزرعة ..

- ييجى حى أو ميت .. وبأى تمن ..

يخرج رحومة من المكتب مسرعاً ليلحق بإسماعيل .

***

يجلس (مجاهد) و(فيصل) و(مسعد) أبناءعم إسماعيل على جذع نخلة فى وسط بيوت العائلة، مجاهد أكبر من فيصل ومسعد، طويل القامة، نحيف الجسم، بشرته سمراء فاتحة وله شارب خفيف وشعر أسمر طويل ناعم و يرتدى جلبابا بنيا تفصيل .. فيصل طويل إلى حد ما بشرته قمحاوية، له شارب كثيف يكسو الوجه، وشعر الرأس خشن يرتدى جلبابا صفراء. مسعد أقصر ما فيهم وسنه يقرب لسن فيصل، يرتدى جلبابا بني اللون، بشرته قمحاوية، شعر الرأس كثيف خشن ويكسو الوجه شارب أسمر كثيف، هو الوحيد بينهم لا يفرق بين كبير وصغير فمن الممكن وأنت تجلس معه فى حزن من شيء ما تضحك من طريقة كلامه والحديث معه، فلا يحب الشجار ولكن عندما يمس الشجار أحد أبناءعمه تجده لا يفرق بين قريب وغريب، قوى أو ضعيف؛ ولذلك ليس من السهل أن يغضب مسعد مثل مجاهد وفيصل وإسماعيل فهم الأكثر عنفا وجرأه، فكانوا يجلسون ويتحدثون فى مواضيع شبابية ويأتى نحوهم إسماعيل وعندما يروا إسماعيل ممزق الجلباب .يقفوا، وفى لهفة يقول مجاهد :

– مين اللى عمل فيك كدا يا إسماعيل؟

من المؤكد أن تجد فى كل عائلة شبابا متحمسا على أنه يكون هو الأفضل بين شباب البلد ولا يريد أحدا يقترب من أقاربه بسوء، ولكن مع الأربعة تجد مربعا لم ينكسر قط. إسماعيل هو الأكبر بينهم فكيف يضرب الكبير أو يهان!كلمة قالها مجاهد فى غضب.

وجلس إسماعيل بينهم وحكى عما دار فى المزرعة وكيف هرب منها .

***

يجلس أحمد بيومى وهو أبو إسماعيل وأمه أمام البيت المبنى بالطوب النى وأمام البيت قنايه يمر منها الماء لتروى الأراضى بعد البيت وشجرة توت فكان البيت مبنيا فى الخلاء بعيدا عن بيوت القرية قليلا .هو رجل فى سن الخامسة والأربعين من العمر، نحيف الجسم، أبيض الوجه، عيناه ضيقتان، وشعر الرأس خفيف، يعمل فى مصنع الحديد والصلب وبعد أن تقدم إلى وظيفة فى المصنع تشاجر مع أخيه على العمل فى الأرض فاختار الوظيفة وبعدها تقاسم الورث بينه وبين أخيه، وخرج أحمد من بيت أبيه ليبنى بعيدا عن بيوت العائلة التى تربى فيها، ولكن بيته فى نفس القرية. تزوج أحمد من أم إسماعيل وهو فى بيت العائلة وأنجب منها إسماعيل وجمال وسعاد،

وكان إسماعيل أكبر أخوته. يشعل أحمد النار على الشاى وأمام أم إسماعيل العدة فكان يحب أن يجلس أمام البيت كل يوم على حافة القناية وتحت الشجرة ويشرب الشاى بعد أن يعود من العمل فى المصنع، ولكن كل مرة يعترض إسماعيل من جلوس أبيه وأمه جانب هذه القناية خوفاً من أن يكون بها ثعابين وغيرها، فالنجيلة والباغ يكسو القناية من الجانبين فمن الممكن أن يجلس فيها رجل وتغطيه النجيلة والباغ من كثرتهم فيها ولكن كان أحمد لا يهتم بكلام إسماعيل ابنه، فيأتى بالحصيرة كل يوم ويجلس جانب القناية بعد صلاة العشاء. ويأتى عليه من بعيد وهو جالس فضل ابن عم أحمد وعم إسماعيل وأبو فيصل وهو يحمل سلاحه الميرى ويركب على حمار، هو رجل نحيف الجسم، طويل القامة، أسمر الوجه، وتجاعيد الوجه الظاهرة على خديه، له شارب أبيض كثيف وشعر الرأس أبيض خفيف، عيناه ضيقتان يرتدى جلبابا أسمر وعمة بيضاء ويعمل فضل غفيرا فى القرية بعد أن أنهى الخدمة العسكرية فى الجيش وخرج. وتقدم فى وظيفة غفير ولم يوافق العمدة على فضل فى هذه الوظيفة خوفاً من مشاكله، فمعروف عن فضل مشاكله الكثيرة وقلة احترامه للهيبة والمظاهر التى يمشى بها بين الناس حتى توسط إليه أحد الأقارب ليوافق العمدة بعدها ومن يومها لم يخش أحدا. بعد أن علم أنه توظف ولا أحد يستطيع أن يفصله من الميرى، فالأوامر التى يأخذها فضل من شيخ الغفر فى حراسة الأماكن

فى القرية فى الليل يمر فيها فى أى وقت وليس من الضرورى أن يقف طوال الليل فى الخدمة. وفى يوم كان فضل يروى الأرض التى أخذها إيجاراً بعد أن ترك الأرض المِلك وتمسك بالوظيفة فكان عليه أن تختار إما الوظيفة أو الأرض فاختار فضل الوظيفة .. فوقع حادث بعد أن انقلبت عربية كارو تحمل فخارا مثل الزير والقلل وغيرها، انقلبت العربية الكارو بعد أن انحرفت عجلة العربية ناحية المصرف وانقلبت على صاحب العربية ومات فوقع الحادث بين صلاة المغرب والعشاء ومن الضرورى أن يأتى وكيل النيابة إلى الحادث فى الصباح ليُعاين الحادث، فأمر ضابط النقطة التابعة للقرية أن يحرس الغفر القتيل، فرفض الجميع ذلك الأمر، وكيف يجلس أحد بجانب قتيل طوال الليل حتى قال شيخ الغفر: اللي هيقعد جنب القتيل هو فضل ولكن لازم حضرتك اللى تقول له علشان مش هيسمع كلام حد إلا انت .. أمر الضابط أن يأتوا بفضل .. بعد أن أتى فضل قال الضابط: إنت هتقعد تحرس القتيل لحد النيابة ما تيجى بكرة الصبح تستلمه منك واحنا هنكون موجدين.

ولم يرفض فضل هذا الأمر حتى يعرف الضابط انه افضل من غيره فى الغفره .ولا يسمع إلى شكاوى شيخ الغفر والعمدة الذى تتقدم إلى النقطة عليه. وبعد أن جلس فضل جانب القتيل وفرغ الجميع من حوله جاء أحد أخوات القتيل وجلس يبكى جانب فضل، وبعد ما يقرب من نصف ساعة قال لفضل وفى هدوء:

أنا هادفع لك اللى انت عايزه بس آخد أخى ادفنه دي الوقت.

سمع فضل هذا الكلام وفى حدة ولهجة تهديد قال : طيب قوم من جنبى لاخليك ترقد جنب اخوك .

وبعد حديث طويل عرف أخو القتيل أنه رافض تماماً أن يعطيه أخيه، فذهب من أمام فضل وقد اقتربت الساعة من الواحدة بعد منتصف الليل وبدأ النُعاس يراوض فضل وخوفه من أن يأتى أحد من أقارب القتيل يحملوه ويدفنوه. ففكر ماذا يفعل فأتى بحزمة بوص وضعها على القتيل وربط جلباب القتيل فى جلبابه ونام جانبه، حتى يأتي من يأتى ويحمل القتيل .. مؤكد أنه سيسحب جلبابه مع جلباب القتيل .. ونام فضل فى حضن القتيل من التعب على الأرض طيلة النهار حتي جاء الضابط فى الصباح ورأى فضل يأخذ القتيل فى حضنه وينام بجانبه.

أيقظه من النوم وكتب عنه أنه كُفء فى مجال الغفارة فى هذه القرية؟

ينزل فضل من على الحمار ويربطه ويسلم على أحمد وام إسماعيل ويجلس جانب أحمد، ويأتى عليهم بعد قليل رحومة وهو يحمل السلاح ويلقى السلام ..

يرد أحمد وفضل .. رحومة وهو يبتسم ابتسامة صفراء:

- إسماعيل مارجعش من المزرعة ..

ينشغل أحمد بسؤال رحومة عن إسماعيل، وكيف يسأل عنه وهو يعمل فى المزرعة معهم.

– إزاى ماهو شغال فى المزرعة معاك!

– أصله مشى وجوجو بيه كان عايزه فى حاجة كدا

– لا لسه ماجاش ..

– ماشى هادور عليه فى البلد كدا يمكن يكون نزل نواحى العيلة ..

وذهب رحومة من أمام أحمد وفضل ويقول فضل:

– إنما من إمتى إسماعيل ليه شأن عند جوجو بيه ؟

كلمة قالها فضل ليزرع القلق فى قلب أحمد وتقول أم إسماعيل :

– امال الراجل ده بيسأل عليه ليه؟

– دا رحومة ابو عبد الجواد يا ام إسماعيل .. انتى ماتعرفهوش .

تضرب أم إسماعيل على صدرها عندما سمعت الاسم وهى تعرف وتسمع عن رحومة أنه قتال قتله وابن ليل

– طب وإيه اللى يخلى رحومة يسأل على إسماعيل؟

يرد فضل :

– مش عارف بس أكيد إسماعيل عمل حاجة .

وفى قلق يرد أحمد :

obeikandl.com

– انت طول عمرك كدا يافضل بتحب تقلق الناس وخلاص وترعبهم .

– الناس ماشى بس انت لا .. الواد أكيد عمل حاجة علشان كدا ماجاش البيت لحد دي الوقتي .. بس انا عارف هالاقيه فين .

يستعجل فضل الشاى ويقوم من مجلسه يركب على الحمار ويذهب نحو البيت، فيجد رحومة يراقب مجلس أحمد من بعيد فى مكان مظلم، فيعرف أن إسماعيل فعل شيئا ويريد رحومة أن يخطفه أو يقتله .. وبعد أن عاد فضل إلى البيت ينادى على فيصل وبعد أن حضر فيصل :

– إسماعيل ابن عمك فين ؟

– عند مجاهد .

– روح قل له ييجى دي الوقت هو ومجاهد .

وبعد أن خرج فيصل مسرعاً .. يمسك باب البيت ليفتحه فيجده مغلقا، فكان من عادة فيصل ومسعد وإسماعيل عندما يأتوا إلى بيت على عبد الرازق أبو مجاهد يدخلونه من الباب المفتوح دائما، فينادى فيصل على مجاهد فيخرج عليه فيطلب منه أن ياتى إسماعيل إلى البيت فيخرج إسماعيل بعد أن ارتدى جلبابا من جلاليب مجاهد وخلع الجلباب الممزقة ولكن الجلباب طويل عليه فيمسك طرف الجلباب حتى لا تجرجر على الأرض . وبعد أن دخل على فضل فى وسط البيت . يقول فضل .

- تعالى يا إسماعيل

يسلم إسماعيل ومجاهد على عمهم ويجلسان أمامه ويقول فضل .

- إيه اللى حصل يخلى رحومة أبوعبد الجواد بنفسه يراقب بيتكم.

يحكى إسماعيل إلى فضل ما دار بينه وبين البيه، ثم يخرج إسماعيل الطبنجة أمامه فيقول فضل:

- دى تفضل معاك تبات عند مجاهد النهارده والفجر تروح تقعد فى الجبل .الخوف مش من البيه الخوف من رحومة، لو البيه بلغ الحكومة انك سارق حاجة ووصى عليك هتتسجن وبعدها هنعرف نخرجك من السجن.

عرف إسماعيل أن المشكلة بينه وبين رحومة الذي لا يقبل بأى حل إلا أن يقتل إسماعيل أو يأتى به إلى البيه الذى يربطه أمام الجميع فى المزرعة، فيذهب إسماعيل بعد أن اخبره فضل بأن رحومة يراقب البيت. وفى الصباح قبل أول ضوء نهار يذهب إسماعيل إلى المقابر ليجلس هناك وكان معه مجاهد وفيصل ومسعد.

***

يعود رحومة إلى البيه فى الصباح والعمال تجمع المحصول فى المزرعة وعربية نقل صغيرة تدخل تحمل البرتقال وتخرج من المزرعة، فيدخل رحومة إلى الاستراحة يجد جوجو بيه فى انتظاره،

يقوم البيه فى لهفة من على المكتب وهو يقول:

- إيه .. جبته؟

وفى حزن وخذلان من رجع دون أن يمسك إسماعيل

- الواد مارجعش البيت .. انا طول الليل باراقب البيت.

وبصوت عال وغضب شديد يقول البيه:

- يعنى ايه مارجعش البيت! مش عارف تجيب حتة عيل زى ده يا رحومه؟! والله عال.. انت كبرت والا إيه؟ .. اسمع انا هادفع أى فلوس بس الواد ده ييجي لى انت فاهم؟ شوف رجالتك فى كل مكان واللى هيجيب لى الواد ده انا ادفع له اللى هو عايزة .. ميت أو حى ..ما تفرقش معايا خلاص

- انا مش هانام فى بيتنا غير لما الواد ده يكون عند سيادتك ..

- وانا هاوصى المركز يدور معاك علشان يبقى متحاصر من الناحيتين ..رحومه ورجالته والحكومة وعيونها .. ماشى يا رحومه؟ ادفع أى فلوس بس ييجى

- أوامر سعادتك يا بيه

ويخرج رحومه من المكتب ليجتمع مع أصدقائه الذين سيبحثون معه على إسماعيل فى المنطقة، ويمسك البيه سماعة التليفون ويطلب أحد الضباط ليوصيه بالبحث عن إسماعيل.

***

يجلس إسماعيل فى وسط المقابر وأمامه عدة شاى وقلة مياة وحصيرة وهو يرتكز على جدران أحد المقابر فى الليل ويعود بالذاكرة وهو بين أبناءعمومته فى مولد الفرغل ..

يمشى إسماعيل ومجاهد وفيصل ومسعد فى مولد الفرغل الذى يُنصب فى القرية كل عام وتقف تجمعات الشباب والرجال بجانب المدفع الذى يضربه الشباب وبعد كل ضربة صيحات الشباب ترتفع والتهليل على شدة الضرب، وعندما يعود المدفع ولم يستطع الاصطدام لكي يضرب البومبة التى توضع أمامه فالصيحات بالخيبة والحزن ترتفع فكان شباب القرية جميعاً لهم ذكريات مع المدفع ومن الضرب ومن لم يستطع الضرب، فكانت هيبة الشباب فى المولد تبدأ بضرب المدفع فتظل ذكرى طوال العام بين الشباب فى القرية وكلما تقابلوا بعد المولد فالابتسامة والفرح بأن هذا لا يقدر أن يدفع المدفع المحمل بالحديد ليضربه ومعنى هذا أنه ضعيف الجسم أو الصحة.. وبعد الذهاب من أمام المدفع نيشان البندقية على عروسة حديد بين جسمها فراغ يوضع فيها بومب أطفال ويمسك الشاب البندقية الرش الخاصة بالضرب بعد أن يدفع لصاحب العربية حق الرش ويُصوب ناحية العروسة ليضرب والتجمعات حوله للتشجيع بعد النشان أو الخيبة فى التصويب، فالمولد فى قرية الدناوية ينصب قبل ميعاده بشهر وفى ذلك الشهر لا تجد شابا أو رجلا أو بنتا صغيرة تجلس أو يجلس فى البيت فالجميع ينزل المولد وليس القرية فقط بل من

القرى المجاروة أيضاً تأتى إلى المولد فتجد تجمعات عند الأراجوز وفقرات الرقص وغيرها من التجمعات فى خناقة ما بين الشباب والبيعة على سرقة لعبة، وتجمعات على لعبة جوز وفرد ولعبة الكُرشينة . والجميع يقف فى الصف فى ركوب المرجيحة وأم شمسية وهى اللعبة المفضلة للبنات الصغار.. أجواء المولد فى جميع أنحاء الجمهورية واحدة، هى أن تجلس جانب المقام والنور الأخضر المضئ ودخول النساء وهن يحملن أطباقا خشبية وألومينوم ليأخذن الفول النابت من غرفة المقام والالتفاف حول المقام والدعاء وهن يحملن الاطفال الصغار، وبعدها تضع تعريفة أو ما يزيد فى صندوق المقام المتواجد جانبه .. فالجميع وهم صغار كانوا يعتقدون أن تلك الأموال التى توضع فى صندوق المقام تذهب إلى الميت أو الضريح وعندما كبرنا علمنا أنها تصرف فى تجديد المسجد وغيرها من الأعمال الخيرية وهى طريقة قديمة لجمع أموال الناس عن تراضٍ مثله مثل أى صندوق فى العالم العربى ضع عليه اسم الله أو الرسول ستجد فيه أموالاً كثيرة من الممكن أن تصرف فى أعمال غير أخلاقية، فليس هناك من يراقب هذه الصناديق والأموال للمتبرعين فتجد امرأه تحمل ابنها الصغير ولا يوجد طعام ولا شراب فى البيت وتضع أموالا للمقام حتى يشفى ابنها أو يعيد إليها زوجها، فالمولد ليس له أى حسنة إلا أن تجد شابا يجلس على الأرض بلعب أطفال ليرزق منها بلقمة عيش حلال فى آخرالنهار، ولكن ستجد أيضا من

يسرق منه لعبة أو اثنتين ليضيع عليه فرحة المكسب عند نهاية اليوم ..

و يقف إسماعيل هو و أبناءأعمامه فى طابور الأراجوز ويمسك كل واحد منهم ورقة عليها رقم للدخول وقد اقتربوا من الدخول إلى ساحة الأرجواز وينظر إسماعيل خلفه فتأتى عينه إلى (هنية) وهى تقف بعيدا لتشترى غوايش من إحدى عربات البائعين وهى تمسك الغوايش الحديدية المطلية باللون الأصفر وتبتسم وهى تلبس الغوايش، فينجذب إسماعيل إليها ولم يُنزل عينيه عنها وهو يقف فى طابور الأراجوز الذى يفتح بعد قليل حتى أتت عين هنية فى عين إسماعيل وابتسمت هنية عندما علمت أن إسماعيل ينظر إليها .. وتُفتح سِتارة الأراجوز ويدخل مجاهد وفيصل ومسعد ويخرج إسماعيل من الطابور ويذهب نحو هنية، ويقترب منها مجاهد بعد أن دخل لم يجد إسماعيل ..

- إسماعيل فين ؟

ويقول مسعد وهو ينظر خلفه:

- دا كان واقف ورايا.

ويقول فيصل وهو يريد أن يخرج :

- ليكون بيتخانق مع حد .

مسعد وهو منفعل:

– والله العظيم ما انا طالع .هو مافيش حد بيتخانق فى البلد غير إسماعيل!

وجلس الثلاثة يشاهدون عروض الأراجوز..

إسماعيل يقترب من هنية وهى لم تختر الغوايش بعد..

هنية هى ابنه على أبو همام .. وحيدة على ثلاثة أولاد أبوها فلاح فى القرية ويمتلك أرضا يزرعها ، جسمها طويل وجهها أبيض عيونها واسعة ولها ابتسامة لم تغب عن الوجه، ترتدى جلبابا أخضر عليه ورود مختلفة الألوان وإيشاربا أزرق عليه ورود ونظرتها إلى إسماعيل نظرة إعجاب وهو الشاب الذى لم ير من ينافسه فى المولد بعد أن ارتدى جلبابه الجديد وتزين مثل كل مرة ينزل فيها المولد أو يذهب إلى المركز .. يقف بجانب هنية ويمسك إحدى الغوايش ويقول وهو يعطيها إليها:

– عامله إيه ياهنية؟

وهى تمسك الغوايش من يد إسماعيل وتبتسم:

–إنما انت بتفهم فى الغوايش والا إيه؟

– مش قوى على قدى ..

ولم يتابع إسماعيل أى شئ فى المولد إلا نظرته نحو هنية تضع هنية الغوايش فى يدها وهى تنظر إلى إسماعيل ويأتى أحد الشباب جانب هنية ويمسك من يدها الغويشة وهو يعاكسها..

- أنا ممكن ادفع تمنهم وتمنك انتِ كمان.

ابتعدت هنية وهى تترك الغوايش من يدها للشاب الذى التصق فى كتفها وفى غضب مسك إسماعيل من يد الشاب الغوايش ويعطيه إليها مرة ثانية وهو يقول:

- طب وتمن وقفتى والا وقفتى مالهاش تمن؟

فلم ينتظر إسماعيل الرد من الشاب وانهال على وجهه بالضرب وهب الشجار، والصيحات فى الزحام تعالت ووقف عرض الأراجوز الذى كان قريبا من الشجار . وبصوت مسموع لمجاهد وفيصل ومسعد قال أحد الواقفين: خلاص يا إسماعيل ..

فزع الثلاثة من الكلمة وعرفوا أن الشجار مع إسماعيل فقال فيصل :

- إسماعيل بيتخانق .

وخرج مجاهد وفيصل مسرعان إلى مكان الشجار ويقول مسعد:

- هو عمى أحمد هيخلف حاجة عليها النطالة! .. طول عمره جايب المشاكل .

خرج الثلاثة ووقفوا خلف إسماعيل فى الخناقة وقد انتهت بعد أن عرف الجميع أنهم أمام قوات بلد وليس أربعة شباب فقط فكان الشاب الذى قام بمعاكسة هنية غريبا ولم يعرف هنية

ولا إسماعيل وهدأت الأمور ولكن لم تهدأ دقات قلب هنية خوفاً على إسماعيل الذى تشاجر بسببها . وذهبت هنية أمام إسماعيل حتى أوصلها إلى باب البيت .. ومن يومها لم تغب هنية عن عقله وباله طيلة الوقت. ولكن بعد أن عاد من الماضى يفكر هل من الممكن أن تعود الأمور لطبيعتها مرة ثانية وأنا الشاب الذى لم يوافق أن يأكل حقي رجل ظالم مثل جوجو بيه فوقفت أمامه وقلت له (لا)، هذه الكلمة أتت إليه بالبعد عن البلد والنوم بعيد عن بيتي. وينظر إسماعيل إلى السماء والقمر فيه ويقول:

- يارب افرجها .

***

يجلس رحومة بين رجلين ويمسك كل واحد منهما سلاحه الخاص به ، وهم (دبور) رجل طويل القامة ذو وجه أسمر وجمجمة ضخمة وشارب كثيف يغطى الفم وعمة بيضاء على الرأس، وتسميته بذلك الاسم يرجع إلى تاريخ إجرامه، هو مستأجر ولديه رجال تعمل معه فى هذا الإجرام. من يريد قتل أحد يستأجر دبور .. احتلال أرض أو بيت . أو سرقة بهيمة، فدبور هو أفضل واحد فى وجه شرق، هو من مدينة الصف ويحرس أرض ميخائيل الواقعة بين قرية الدناوية ومزغونة . وسُمى دبور لكثرة الناس التى تهج من أمامه مثل الدبور.

والثانى (علوان) هو غفير فى المركز، رجل طويل القامة بشرته قمحاوية، له شارب أسمر كثيف ويغطى الرأس عمة فلاحى بنى، جسمه ممتلئ وقبل أن يتقدم إلى هذه الوظيفة كان من رجال دبور. بجانب عمله فى الحكومة يأخذ جنايين وفيلل على النيل حراسة إلى حسابه . وهما يجلسان فى أرض ميخائيل وكلا منهما يحمل سلاحه الآلى الخاص به إلا علوان يحمل بندقية خرطوش ميرى خاصة بالغفرة . ويقول رحومة وهو يخرج بطاقة إسماعيل من جيبه وعليها صورة له أبيض وأسود ويقول:

– أنا عايز الواد ده حى أو ميت ..

يمسك دبور الصورة ويتأكد منها وبعدها يعطيها إلى علوان .. ويكمل رحومة فى الحديث:

– تلتميت جنيه قتله.. وخمسميت جنيه تسليمه لي .

ويرد دبور بصوت غليظ وحنجرة قوية وهو يقول .

– يبقى انا اتكلم فى التلتميت جنيه .. هو انا لسه هاقفش فراخ ..

– ماشى . يبقى انت يا علوان عليك تجيبه حى .

– ما انت عارف أني لو اطول اقتله هاقتله . بس الميرى فيه سين وجيم .

– انا عارف .. بس رجالتك تعرف تجيبه متكتف وبعدين انت أخبار المركز كلها معاك ..

كلمة قالها رحومة وهو يعرف أن علوان تقدم إلى المير ى ليعلم كيف تفكر الحكومة ويخبر المجرمين عن من تقدم ببلاغ ضدهم فى المركز . ومن يومها لم يستطع المركز أن يمسك أحدا من رجالة دبور أو رحومة أو أى مجرم له صلة بعلوان متلبسين أو فى جريمة كاملة ..بعد أن يخبرهم علوان بما يدور فى المركز فهو الساتر لذلك القبيل.

– ماشى يا رحومة بس انا لو سلمته للمركز أو ليك ماتفرقش.

ينظر رحومة وهو يفكر ويقول:

– يعنى لو ليّ يبقى احسن .. البيه كده كده مبلغ المركز.

يعنى انت هيجيلك أمر بالتفتيش والبحث عن الواد ده؟

ويمسك دبور البطاقة من إيد علوان ويقول وهو ينظر إليه: .

– بس الواد ده عمل إيه في البيه يخليه يدفع الفلوس كلها دي فيه؟

يبتسم رحومة ويحكى إليهم ما دار بين إسماعيل والبيه.

***

يدخل البوكس القرية وهو محمل بالعساكر وعند الاقتراب من سرايا العمدة يخرج العمدة والغفر إلى باب السرايا بعد أن أخبرته النقطة التابعة للقرية أنهم قادمون للتفتيش والبحث

عن إسماعيل، ويمشى العمدة خلف البوكس الذى يمشى بين الواقفين والمتعجبين من دخول البوكس القرية ويقف البوكس أمام بيت أحمد أبو إسماعيل وينزل العساكر والغفر ليدخلوا بيت أحمد ويبحث الجميع عن إسماعيل . والضابط يقف خارج البيت بعد أن أخرج أحمد وأم إسماعيل وإخوته من البيت، وبعد البحث يعود الغفر والعساكر وهم يقولون:

– مافيش حد يا افندم ..

ينظر الضابط إلى العمدة ويقول:

– الواد ده لازم ييجى يا عمدة .

– يا حضره الضابط انت جيت على غفلة ودورت عليه مالقيتوش، انا اللى هاعرف اجيبه؟! بس لو ظهر هاخلى الغفر يمسكوه ويسلموه للنقطة .

يأتى فضل مسرعا ليقف مع الغفر الواقفين والحاضرين ويستمع إلى الضابط وهو يهدد العمدة أن يبحث معه عن إسماعيل. وبعدها يركب الضابط البوكس ويذهب بين التجمعات التى انهمرت إلى بيت أحمد والأحاديث بينهم .

همّ عايزين مين .. دا بيقول إسماعيل قتل بيه كبير قوى فى الجبل . علشان كدا جايين يقبضوا عليه وغيرهم من يقول، دا سرق فلوس من جوجو بيه. ويقف فضل يراقب الجميع ويعرف ماذا يفعل.

obeikandl.com

ومن يومها انقلبت البلد على إسماعيل والبحث عنه فى كل مكان فى البلد، فعرف فضل أن إسماعيل فى أمان الآن من رحومة بعد أن أبلغ البيه المركز وأعطى المركز النقطة الأمر للقبض على إسماعيل . وظل إسماعيل فى المقابر و كل يوم يذهب إليه مجاهد بالطعام ويعود. وكان الضابط قد أُقام فى القرية أسبوعا ليبحث عن إسماعيل وأوقف العساكر والغفر ليرقبوا من يخرج ومن يدخل فمن الممكن أن يكون إسماعيل بينهم ويتخفى، فكان يمر مجاهد وهو يحمل الطعام وهو ينظر إلى العساكر ويبتسم وبعد وقت يعود دونه. وظل على هذا الحال عشرة أيام حتى علم ضابط النقطة أن إسماعيل لم يتواجد فى القرية فذهب هو والعساكر ولكن لم يذهب علوان غفير المركز من البلد بل ظل يتجول فى شوارع القرية ليلاً ونهاراً يبحث عنه . وعلم دبور أن الحكومة ذهبت من القرية فنزل هو ورجاله يبحث عن إسماعيل مع علوان، فكانت الشوارع ملغمة برجال علوان ودبور . وفى يوم اشتعل شجار وسط العائلة بعد أن مر أحد رجال دبور وهو يحمل السلاح على كتفه وينظر من بعيد إلى داخل بيت مجاهد المتواجد على رأس شارع العائلة فخرج مجاهد وفيصل ومسعد من الباب مهرولين نحو الرجل وهم يوقفونه ويتشاجرون معه. فتمكن الرجل من إطلاق طلقة فى الهواء بعد أن اجتمع شباب العائلة نحوه وفى نفس الوقت خرج فضل يحمل السلاح الميرى الخاص به فكان فى مقابل بيت فضل بيت

(حجاج عبد الحى)، وهو رجل ذو بشرة بيضاء، طويل القامة، جسمه ممتلئ، أقرع الرأس، له شارب خفيف .. رجل ثقيل فى مشيته وفى كلامه مع أى أحد فى أى مشكلة فوجود حجاج عبد الحى فى المشكلة يعنى أنك معك العقل الفاهم واللسان المتكلم وهو من أعمدة العائلة، وعم إسماعيل أيضا . خرج حجاج من بيته على صراخ الشباب وهو يحمل بندقيته الخاصة وهى مرخصة بحكم امتلاكه لأرضه وعمله فى تجارة الخضار فى سوق العبور . وكان خلف فضل وهما يوجهان الأسلحة نحو الرجل الغريب الذى رفع السلاح .. نظر الرجل فوجد نفسه في حصار تام من السلاح ورجال العائلة. يأتى دبور وعلوان مسرعين ناحية ضرب النار فمن الممكن أن يكون أحد من الرجال رأى إسماعيل فقتله، ولكنهما وجدا شجاراً مع أحد رجالهم .. وقفا يعتذران لفضل وحجاج على ما دار بين رجلهم وشباب العائلة فيقول فضل :

– خده وامشى .. بس المرة اللى الجايه هتشيلوه ميت ..

ونظر فضل إلى علوان وقال له :

– إنما انت مش شغال غفير فى المركز؟ إيه اللى يخليك تشتغل مخبر للبيه!

فلم يرد علوان على فضل الكلام وسحب رجله ومشى من أمام التجمعات وهو يأخذ أنفاسا سريعة ..

openkandil.com

وعلم الجميع أن رجال دبور وعلوان ورحومة لن تمر من شوارع العائلة مرة ثانية بعد هذه المشكلة التى دبر إليها فضل مع مجاهد وفيصل ومسعد . وكان الاتفاق أنهم يسلموه إلى النقطة وهو يمسك بهيمة بتهمة السرقة ولكن بعد أن أطلق النار فى الهواء وأسرع دبور وعلوان إلى مكان ضرب النار تغيرت الخطة وتأكد فضل أن شوارع العائلة باتت آمنة ومن الممكن أن يجتمع فيها كل من يريد المساعدة ؟

وبعد أن عاد دبور وعلون إلى مكان تجمعاتهم فى أرض ميخائيل ياتى اليهم رحومة ويجلس معهم ويقول .

– البيه زعلان منى اوى . يا دبور .

– واحنا هنعمل إيه تانى أكتر من اللى عاملينه . الواد زى فص ملح وداب رجالتنا فى كل مكان فى البلد .

يفكر رحومة ويقول .

– أكيد الواد يعرف اللى بيحصل فى البلد علشان كدا مش هيرجع إلا لما الأمور تهدى . احنا نراقب اللى بيطلع من البلد واللى بيدخل من غير ماحد ياخد باله وساعتها بس هنعرف الواد ده فين .

وينظر رحومة إلى علوان وهو يلعب فى شنبه .

– إيه ياعلوان انت مش معايا في اللى باقوله والا إيه ؟

openkanal.com

– معـاك .بـس مـين الـلى عـرف فضـل انـى شـغال لحسـابك أو حسـاب البيـه؟

– مـش مهـم ده دي الوقتـي .خلينـا فى الـواد وبعديـن انـت معـاك أمـر مـن المركـز بالقبـض عـلى الـواد .. صـح؟

يهز علوان رأسهبنعم .

– خلاص يبقى انت فعلا شغال مع البيه . ..

يمـر مجاهـد وهـو يحمـل الطعـام فى جلبـاب قديـم وفى يـده الثانيـة ربـع كيلـو مـن السـكر وعلبـة صغـيره مـن الشـاى . ومـن بعيـد يجلس رجـلان يشـعل أحدهمـا النـار فى بـوص تحـت بـراد شـاى ويحمـل بـين رجليـه سـلاحا، هـو الرجـل الـذى تشـاجر معـه مجاهـد عنـد البيـت . وينظـر صاحبـه الجالـس يراقـب الطريـق مـن بعيـد ويقـول:

– الـواد ده ماشـاء الله عليـه . كل يـوم فى نفـس الوقـت بيـودى لابـوه الغـدا .

يبتسم صاحبه وهو ينظر إلى مجاهد فيعرفه فيرد:

– دا ابن كلب .. ما هو ده اللى رفعت عليه السلاح .

وبعـد أن شربـا الشـاى يفكـر فى كلمـة صاحبـه وهـو يرفـع كـوب الشـاى عـلى فمـه وفى لهفـة يقـول:

– إنت بتقول كل يوم ؟

- إيه هو اللى كل يوم

- الواد اللى ماشى بالأكل ده بيعدى كل يوم ؟

- أيوه ..

- يبقى هو الواد ده اللى بيودى الأكل لإسماعيل .

فيقف الاثنان وهما يحملان الأسلحة وينظران يمينا ويسارا ويمشى كل واحد منهما فى اتجاه ليريا مجاهد وبعد قليل يعودان إلى مكانهما ويقول أحدهما:

- لم العدة ويالا نروح للمعلم دبور نعرفه اللى حصل .

***

يجلس مجاهد بين المقابر فى انتظار عودة إسماعيل فلم يعرف أين إسماعيل، وبعد قليل من الانتظار عاد إسماعيل فوجد مجاهد يجلس فى انتظاره فسلم عليه و سأله مجاهد .

- إيه كنت فين؟

ويرد عليه وهو مجروح من ذلك الوضع:

- بالِف حول الجبل يا مجاهد .. هو انت مفكرني ميت ومدفون .. انا لسه لحم ودم!

- ماشى لف براحتك .

يخرج مجاهد الطعام من الجلباب ويأكل هو وإسماعيل، وبعد أن فرغ مجاهد من الطعام أشعل النار على براد الشاى وأخبر إسماعيل بما دار فى البلد..

- امبارح عملنا مشكلة مع رجالة دبور . زى ما عمك فضل أمر بالظبط ..

- يعنى دبور لم رجالته من المشى فى العيلة ..

- الأهم .والى ماكناش عاملين حسابه إن عمك حجاج طلع بالبندقية ورا عمك فضل..

ابتسم إسماعيل وهو فرحان ويقول:

- ربنا يخلى الرجالة طول عمرهم وهم ضهر للكبير والصغير فى العيلة .

وبعد أن فرغ إسماعيل من الأكل والحديث مع مجاهد، عاد مجاهد إلى القرية وكانت رجالة دبور فى انتظاره على الطريق، وقبل أن يدخل البلد يوقفه دبور ويمسك مجاهد من جلبابه ويقول دبور :

- فين إسماعيل يا حبيبى؟

فينظر مجاهد إلى دبور وفى هدوء :

- إسماعيل مين ؟

وبصوت غليظ ومرعب:

– اسمع انا ممكن اقتلك وارميك للكلاب، بس انت باين عليك جدع وهتعرفنى إسماعيل فين، اخلص يالا..

وهو ينظر إلى عين دبوريقول :

– ماتدورش عليه هو هييجي لك لوحده .. هو قال لى انه هيطلع لك فى أى حته ..

يبتسم دبور ويترك مجاهد من جلبابه ويقول:

– تمام انت بقى قابلته فين؟

يقترب مجاهد من دبور بعد أن شاهد من بعيد بوكس حكومة يقترب منه وبصوت هادئ وخفيف:

– فى الحلم.

يسمع دبور الكلمة ويغضب ويمسكه من جلبابه مرة ثانية ولكن يخبره أحد رجاله بأن بوكس الحكومة يقترب منه فيأمر رجاله أن يفسحوا الطريق ويخفوا السلاح، فيمشى مجاهد مسرعاً من حولهم ويمشى أمام البوكس حتى يهدئ السرعة فيطلق البوكس صوتا ليُفسح مجاهد الطريق ولكن مجاهد كان يمثل أنه أعرج ويمشى على رجل واحدة والثانية مكسورة حتى يصعب على البوكس ويركب معه. فأوقف ضابط النقطة البوكس وركب مجاهد فى الخلف فينظر مجاهد من البوكس إلى رجال دبور وهو يبعد عنهم ويبتسم ويرفع يده إلى دبور ورجاله .

obeikandl.com

يجلس جوجو بيه على المكتب ويدخل عليه رحومة وكان البيه يشرب سجارة و أمامه البوم صور اليه وهو يحمل الطبنجة التى سرقها إسماعيل ..

– سلام عليكم سعاته البيه..

– اهلا رحومة . ايه فى جديد.

– الرجالة شافت الواد الى بيوصل الاكل لإسماعيل . وهيرقبوه من بكره .يعنى يومين بالكتير الواد هيكون قدام سيادتك ..

ينظر جوجو بيه إلى أحد الصور وهو يقول .

– الواد بالسلاح يا رحومة ..

– اكيد با باشا ..

ويأخذ البيه نفسا عميقا من السيجارة . ويخرج الدخان من انفه وبعدها يغلق الالبوم ..

***

يجلس فضل مع مجاهد فى البيت ويخبره مجاهد بما دار بينه وبين دبور فى الطريق فكان من الضرورى أن يذهب فضل إلى دبور، ولكن ليس الآن. وفى اليوم الثانى حمل مجاهد الطعام وخرج من القرية ولكن كان هناك من يراقبه، ولم يحس بهم مجاهد إلا بعد أن اقترب من المقابر فنظر خلفه وجد رجلا يحمل سلاحا يقف ويدير وجهه إلى الخلف .. غيّر مجاهد طريقه وعاد إلى القرية

obeikandi.com

ولم يذهب إلى إسماعيل فى هذا اليوم . واستمر مجاهد فى المناورة بينه وبين رجال دبور حتى فى أحد الأيام ذهب إلى مقابر قرية مجاورة وجلس فيها .. فعاد رجل دبور وأخبرهم أن إسماعيل فى مقابر (برنشت) وهى القرية المجاورة لقرية (الدناوية)، وذهب رحومة مع دبور ورجلهم خلف مجاهد إلى مقابر برنشت ووقف الجميع فى انتظار نزول مجاهد حتى لا يعلم أنهم قتلوا إسماعيل أو خطفوه. ونزل مجاهد من المقابر بعد أن أفرغ الطوب والحجارة التى أخذها فى الجلباب حتى يتأكدوا أن إسماعيل فى المقابر وهو الذى أخذ الطعام منه.

صعد دبور ورحومة وخلفهما رجاله وهم يحملون السلاح

- دبور خد رجالتك وقابلنى من الناحية التانية ..

قالها رحومة وهو يهجم على المقابر، ومشى دبور ورجاله بعيدا عن رحومة الذى بدأ فى البحث خلف الترب وداخل الترب الفارغة .. وبعد البحث تقابل رحومة مع رجال دبور ويقف على أعلى قمة فى المقابر وهو غضبان ويقول:

- معقول . يكون الواد ده بيلاعبنا؟!

وبعد عودة مجاهد وتأكده أنهم صعدوا الجبل عاد مسرعاً إلى البيت ليخبر فضل بما حدث .. فكان يعلم أن دبور يراقب مجاهد بعد أن أوقفه فى الطريق وأمر مجاهد أن يذهب إلى مقابر برنشت بالطعام المزيف ويتركه ويعود، وفى المقابل كان فيصل

ومسعد يحملان الطعام بعد أن يخرج مجاهد من القرية ويصعدا إلى إسماعيل فى المقابر حتى عرف دبور أن أمره انكشف وعرف من رجاله طريقا لأول مرة يمر فيها مجاهد بالطعام . .

وفى أحد الأيام أتى إسماعيل متخفيا ليرى أبوه وأمه ولكن لم يخبر أحدا بحضوره فكانت الأمور تمشى طبيعيه بعد صلاة العشاء وإسماعيل يركب حمار و أمامه فأس وعمه ملثم بها حتى لا يعرفه أحد فوقف الحمار امام الباب ونزل ودخل البيت بعد أن كان الباب مفتوح قليلاً واغلق خلفه واخذه ابوه بالحضن وبعد أن حضن امه وحب على يدها .فسمع جمال وسعاد اخته بصوته فأتوا مسرعين ليسلما عليه.

- إنت عامل إيه يا ابا؟

- أنا حلو يا إسماعيل طول ما انت حلو يا ابنى .

انت إيه اللي جابك بس ..هو عمك ماقالكش إن البيت متراقب من رجاله رحومة !

- لا انا عامل حسابى ..وعرفت إن ماحدش شافنى وانا داخل البلد.

وجلس مع أبوه وأمه وأخوته الصغار وسط البيت وشرب معهم الشاى، فهو يعلم أن دبور ورجاله لن يهجموا على بيته ولكن سيقتلوه فى الطريق أو فى مكان مخبئه .. أما الحكومة ففضل يعرف متى تأتى حملة فيخبر أحمد قبلها بساعات.

علم دبور من رجاله أن أحدا دخل بيت أحمد ولم يخرج بعد ويشك أنه إسماعيل .. أتى دبور ونصب كمينا إلى إسماعيل بعد أن يخرج من البيت .. وخرج إسماعيل من البيت وأبوه وأمه وأخوته خلفه وركب الحمار والفأس أمامه ومشى من أمام الباب، وعلى بُعد خطوات من البيت وجد نفسه أمام رجال دبور فنزل من على الحمار ومسك الفأس وعاد فوجد رجالا فى انتظاره .. نظر يمينا ويسارا فلم يكن أمامه إلا أن ينزل المريوطية التى كانت على بعد خطوات منه ولم يكن هناك رجال ناحيتها.. أسرع إسماعيل إلى طريق المريوطية فأطلق رجال دبور النار عليه وأسرعوا خلفه ووقفوا عند حافة المريوطية ونزل إسماعيل إلى حافة الترعة وتخفة فى الغاب الطويل المتواجد على الشاطئ، وألقى إسماعيل الفأس فى وسط الماء فأطلق دبور ورجاله النار عليه وهو مختفي فى الغاب والحشائش المتواجدة على جانب الماء وعندما رأى دبور بعد أن أطلق النار عليه لم يستمر في السباحة عرف أنه مات .. نظر وهو يبتسم إلى رجاله وقال:

– مات إسماعيل غريق ومضروب بالنار ..

ابتسم الجميع من حوله فرحين بموت إسماعيل وعادوا وهم يطلقون النار فى الهواء حتى لا يخرج أحد من بيته.. ظل إسماعيل على حافة المريوطية حتى أحس أن دبور ورجاله غادروا الطريق، فعندما سمع أحمد أبو إسماعيل بضرب النار علم أن إسماعيل وقع فى يد دبور .. جلس منهارا أمام الباب هو وأمه وإخوته

يبكون موت إسماعيل واجتماع أهل البلد أمام البيت . واستيقظ النائم من ضرب النار ليعلم الجميع أن إسماعيل مات . عندما عرفت العائلة بالخبر فتجمعوا على الفور أمام بيت أحمد الذى يبعد عن بيوت العائلة .. فالقرية مبنية على هيئة شوارع فى كل شارع تجد عائلة وأبناء عمهم بجانب بعضهم البعض، فرجال العائلة أتت نحو بيت أحمد مهرولين وهم يحملون الشوم والسكاكين والبنادق وبعد أن وقفوا أمام بيت أحمد ليستمعوا ما دار منه وأين إسماعيل الآن فإن كان مات فلنأت به وإن كان خطفوه نذهب لنأتى به. وخرج إسماعيل وهو ملثم واقترب من البيت فوجد أبناء عمه وأقاربه أمام البيت، نظر فضل من بعيد وهو الواقف فوق أحمد وابتسم وقال:

- إسماعيل مين اللى مات؟ امال مين ده!

نظر الجميع فوجدوا إسماعيل.

- ماتخافش يا ابا .. انا لسه ليّ عمر ..

ميل إسماعيل على أبوه، حَب على رأسه وبعدها دخل إسماعل البيت أمام الجميع ونظرة الحقد والغل من أهل البلد الذين كانوا يريدون موته .. سلم على عمه وأبناء عمومته وجلس قليلاً ثم راقب مجاهد الطريق وخرج إسماعيل من البلد بعد أن عاتبه الجميع على نزوله من الجبل، و رد قائلا : انا مش هاقضى حياتى وسط الميتين وانا حى .. الأحسن انى أواجه واتحمل

اللى يحصل .. إيه هاموت؟ اموت بس اموت وانا رافع راسى وابويا يعرف ياخد عزايا ولا رحومة والبيه يقتلونى واندفن من غير ماحد يعرف عنى حاجة ولا حد فيكم هيعرف انا عايش والا ميت؟ .. الموت مش نهاية .النهاية انى ماحدش يعرف لي مكان بعد الموت.

ونظر إلى أبناء عمه: طول عمرنا مابنخافش من حد .. عايشين نضرب وننضرب بس عمرنا ماهربنا . وانا باقول لكم انا مش هاقعد فى الجبل كتير .. هانزل الف هنا وهناك .. انا شاب يعنى مش هاموت شبابى خايف من الموت .. انا طالع الجبل تانى لحد ما اعرف اختار انا عايز اموت ازاى . بس خليكم عارفين دى مش آخر مرة انزل فيها.

علم فضل وأبناء عمه أنه على حق، ماذا سيحدث إذا مات إسماعيل؟ لن تتوقف الدنيا ولكن هيبة الموت التى تنتزع الجرأة والشجاعة من الشخص وتزرع الخوف والذل والإهانة فى نفس كل شخص .. وهل ستنتهى الدنيا بموت إسماعيل أم ستستمر؟ لماذا نأخذ الموت نهاية إلى اسم كان يعيش معنا فى الدنيا .. ذلك المفهوم خطأ، فالموت لا يأخذ إلا الجسم فقط .. أما الروح والاسم متواجدين حتى قيام الساعة .. عندما يموت الإنسان نقول لم يتذكره أحد بعد اليوم فالحقيقة هى أنه سيظل اسمه وفعله مزروع فى وجداننا وفى قلوبنا ليستمر اسمه على الأرض مثل أساطير سطرت التاريخ وماتت .. وهل بعد موتهم انتهت

الدنيا ؟ (موسى عليه السلام وهو ميت كان له الفضل أن تخفف الصلاة من خمسين إلى خمس) فالميت له اسم وسيرة تعيش بعد موته على الأرض مثلما كان موجود وأكثر.

وصعد إسماعيل إلى الجبل فى حراسة أبناء عمه .. وفى اليوم التالى عرف رحومة بما حدث فى البلد من أبناء الفتنة وذهب إلى دبور وجلس معه، فقابله دبور فى فرحة وهيبة بعد أن أنجز المهمة التى لم يستطع أن ينفذها رحومة ولا علوان فكان من المؤكد أن يأتى رحومة ليدفع حساب قتل إسماعيل الذى اتفق عليه .. جلس رحومة بجانب دبور وأمر دبور أحد رجاله أن يأتى بشاى إلى رحومة .. نظر رحومة إلى دبور فوجده فرحانا فقال:

– خير انت مبسوط النهارده ليه؟

رد دبور وهو يهز يده:

– وما انبسطش ليه يامعلم رحومة .. انت ماسمعتش الأخبار والا إيه؟

رحومة مستغربا (بتمثيل):

– أخبار إيه؟

– الواد خلاص وزمان أهله بيدفنوه فى الجبل .

وهو يبتسم ويكمل :

– بس ربك والحق انت كان لازم تطلع وراه الجبل .

وفى غضب وتكشيرة وجه:

– الواد لسه عايش يا دبور..

لم يصدق دبور ما قاله رحومة وفى هزار:

– يا راجل دا انا شايفه وهو واخد طلقة قبل ما يعدى الشط التانى وراح مع الموج .

– الواد رجع البيت بعد انت ورجالتك ما سيبتوا البلد قبل ما تتأكد انه مات وأهل البلد كلهم شافوه وهو خارج من المريوطية .

يسمع دبور الخبر فى صدمة ورعب:

– ازاى يا معلم ؟

– زى ما باقول لك كده . انت ورجالتك مشيتوا والواد طلع وروح كمان وقعد وسط أهله اللى انت بتقول دفنوه يا معلم دبور.

– والعمل يامعلم رحومة ؟

– ترجع انت ورجالتك تراقبوا البلد من جديد ولما يقع تحت إيدك الأحسن تسلمه ليّ مش تضرب نار فى المية وتقول مات .

– ما انت عارف انا ماباحبش اسلم حد وشغل الفراخ ده .

– ما الكلام ده تقوله لو عرفت تقتله انما انت باين عليك كبرت يا دبور .

obeikandl.com

يسمع دبور الكلام من رحومة وهو يعلم أن رحومة ورجاله أقوى منه ألف مرة ولكن لا يريد أن يشغل باله بإسماعيل ويترك غفرة المزارع والفيلل التى يحرسها للبهوات فى سقارة ودهشور ليبحث عن إسماعيل، وبعد أن اقترح رحومة على دبور أن يمسكه ولا يقتله ولكن دبور بعد أن سمع هذا الكلام فإنه لو رأى إسماعيل سيقتله لا محالة وبعدها يتشاجرمع رحومة فى حوار القتل أو الإمساك به.

***

علمت الحكومة بما حدث فى القرية فهجمت على بيت أحمد ولم يجدوا إسماعيل فعادوا على سرايا العمدة .. وقف علوان أمام الضابط وقال :

– يا حضرة الضابط فضل قريب إسماعيل يعنى هو اللى هيعرف يجيبه .

نظر الضابط إلى العمدة وقال :

– الواد ده لازم ييجى يا عمدة .

– والله انا من يوم ما اتطلب وانا ماشفتوش يابيه .. وزى ما بيقول علوان فضل قريبه يعنى هو اللى ممكن يعرف مكانه.

علم فضل أن العمدة وعلوان يريدان أن يأتى بإسماعيل وأنه هو الطعم الذى من الممكن أن يتم به صيد إسماعيل فذهب إلى

أحمد وقال له: عندما أنادى عليك فى أى وقت من الليل عليك أن تبرحنى بالشتائم والإهانات حتى أنصرف من أمام البيت.

وبالفعل أتت حملة فى الليل وطلب الضابط حضور فضل ليبدأ به الهجوم على بيت أحمد فمن الممكن أن يكون إسماعيل فى البيت وعندما يسمع صوت عمه فضل لا يهرب ومن الممكن أن يفتح هو الباب . هكذا فكر الضابط وأوقف فضل أمام الباب بعد أن تكلم مع الضابط وقال إن أحمد لا يحترمه ولا يحبه ولكن الضابط أصر على الذهاب معه .. بدأ فضل وطرق الباب ورد أحمد وقال:

- مين؟

- افتح يا أحمد انا فضل .

فلم يسمع فضل إلا الشتائم والإهانات من خلف الباب فنظر فضل إلى الضابط وقال له:.

- اللى قال لك انى هاعرف اجيب إسماعيل غلطان .

بدأ الضابط فى طرق الباب بطريقة سريعة وقال :

- افتح يا أحمد .. انا ضابط النقطة.

فتح أحمد الباب وهو يشتم فضل أمام الضابط ويقول:

- بقى انت إلى جايب الحكومة يا فضل ماشاء الله طول عمرك كاره لي و لإسماعيل ابني .

لم يلتفت إليه الضابط وأمر العساكر أن تبدأ بالتفتيش .

وبعد التفتيش عاد فضل من غرفة والعساكر من غرفة ووقفوا أمام الضابط المنتظر خلف باب البيت حتى لا يخرج أحد ويقول فضل والعساكر:

- مافيش حد يا افندم .

انتظر الضابط باقى العساكر تأتى من فوق بعد أن صعدوا ليبحثوا على السطح، ونزل العساكر من فوق وقالوا :

- مافيش حد فوق يا افندم .

وغادر الضابط مع فضل والعساكر من البيت وأغلق أحمد الباب خلفهم وهو يسب فضل ويلعنه.

***

يجلس إسماعيل بين المقابر وهو يشعل سيجارة لف وينظر إلى السماء ويفكر، متى يعود إلى البيت والخروج وقتما يشاء ومتى يرجع إلى هنية التى لم يعرف عنها أى شئ بعد أن كان يراها كل يوم وقد ذهبت بحق اللبن مع البنات آخر النهار، «كان الأفضل أن أتكلم عن هنية أو أخطبها حتى لا يقترب منها أحد فى غيابي، ولكن كان أبى رافضا فكرة أننى أخطب وانتظر سنة أو اثنتين» ولم يبق إلا وعد العيون والخوف من أن تذهب إلى أحد غيره، فكان يريد أن يلفت إليه نظرها ويخبرها أنه يريد أن يتزوجها

عنـد انتظـاره تخـرج مـن البيـت ذاهبـة إلى أى مـكان، فكانـت أمنيـة إسـماعيل أن يـرى هنيـة كل يـوم بعـد أن يعـود مـن العمـل فى المزرعـة، ولكـن مـر مـا يقـرب مـن شـهر ولم ينظـر إليهـا ولم يعـرف عنهـا أي شـئ .. وسـأل نفسـه هـل تغيبـت فى عيـون هنيـة أم كان غيابـى عـن البلـد وعنهـا أمـر عـادى .. وسـمع صوتـا هادئـا يقـترب منـه وأقداما تدخـل المقابـر التـى يرقـد بهـا .. يـسرع بـدس نفسـه فى التربـة . ويقـترب منـه أربعـة شـباب ويقـول أحدهـم :

– يا الا هنا بقى ..

– ما تيجى جوه شوية لحد يشوفنا ..

واقتربـوا مـن إسـماعيل أكثـر و جلسـوا جانبـه وأخرجـوا الكورشـينة عـلى الأرض وأحدهـم وهـو يجلـس :

– والله ما داخلين تانى .. هو يعنى الميتين هتزعل .

رد عليه الآخر وهو يبتسم:

– لا وانـت الصـادق هتقـوم تمشـينا مـن هنـا علشـان لعـب الكورشـينة حـرام ..

وجلسـوا وبـدأوا اللعـب وإسـماعيل يسـترد نفسـه بعـد أن علـم أنه لا خـوف منهـم، وكان يسـتمع إلى حوارهـم عـلى لعب الكورشـينة ..

– شد سيف .. كمان سيف .. هات الأوضة على جنية ..

***

وفى اليوم التالى نزل إسماعيل من المقابر يتمشى بجوار مزرعة البيه ليراقب ماذا يحدث هناك، ومر من أمام البوابة ونظر فى الداخل فوجد عبد الهادى يقف مع أحمد السواق جانب العربية وهى محملة بالبرتقال ويتحاور معه.. نظر إسماعيل وكان يعلم أن عبد الهادى يسرق مع سائق العربية فى عدد عدايات البرتقال.

ويعود بعدها إلى المقابر فى انتظار من سيأتى بالطعام اليوم .. وبعد قليل يأتى فيصل ومسعد إلى المقابر وهما يحملان الطعام إلى إسماعيل وكان إسماعيل جالس داخل المقبرة وهى مبنية على هيئة غرف صغيرة وضيقة طولها وعرضها اتنين فى اتنين ونصف، ارتفاع متر ونصف . يجلس إسماعيل داخل المقبرة فى النهار حتى لا يراه أحد ويخبر رحومة أو دبور بمكانه. يدخل مسعد وفيصل عند إسماعيل وجلسوا ومسعد ينظر إلى التربة ويقول :

– ماشاء الله .. دى تربة إيه على مقاسك يا إسماعيل .

رد فيصل وهو يبتسم:

– اكمنك انت وهو قصيرين ، انما مجاهد وانا نتخنق لو دخلنا هنا .

– إنت لو قاعد فى قصر وخايف تطلع يبقى سجن يا ابن عمى .. السجن سجن حتى لو ممنوع تخرج من دولة لدولة تانية يبقى سجن .. السجن مش انك محبوس فين وليه، ممكن تكون فى بيت طويل عريض بس محبوس جوه نفسك ومش

عـارف تطلـع .. طـول مـا انـت حـر وعقلـك حـر ممكـن ماتطلعـش مـن بلدكـم طـول حياتـك بـس عـارف انـك حـر، فى أى وقـت اطلـع وارجـع براحتـك .. احمـد ربنـا انـك عايـش حـر، لـو عايـز تمـوت هتمـوت فى اى وقـت انـت تختـاره بمحـو ارادتـك ..مـش حـد عايـز يموتـك وانـت خايـف تطلـع ليشـوفكوتموت. انـا دلوقتيـه محبـوس جـو تربـة وانـا حـى .

قالها إسماعيل وهو حزين فرد عليه فيصل .

– ماتخافش كلها أيام وترجع البيت زى الأول وأحسن .

– بس سيبه خليه هنا كمان شوية .. اهو مايحضرش المولد.

ابتسـم مسـعد وهـو يقـول ذلـك الـكلام حتـى يبسـط ابـن عمـه الـذى أحزنـه بهـذا الـكلام ..

– ده انـا لـو هامـوت فى المولـد لازم انزلـه .. إيـه يـا مسـعد هـو انـا قاتـل قتيـل؟!

– أهـو ده غلطـه بقـى .. الواحـد بينـزل المولـد علشـان يـروق دمـه شـوية .. مـع إسـماعيل بتنـزل المولـد علشـان تخانـق ..

فـكان مـن يأتـى إلى إسـماعيل مـن أبناءعمـه يخـبره بـما يـدور فى البلـد وقـد اقـترب مولـد الفرغـل، فـكان إسـماعيل يعـرف أن المولـد سـيكون مُراقـب وعليـه أكمنـة ولكـن غيتـه هـو أن ينـزل ويـرى النـاس والنـاس تـراه، ومـن المؤكـد أن الحكومـة أو رحومـة ورجالـه

لـن يتجـرأوا عـلى إطـلاق النـار فى التجمعـات .. فكـر إسـماعيل قليـلاً وقـال:

– أمال ماحدش بيشوف هنية؟

نظر إليه مسعد وقال :

– وكـمان هنحـرس هنيـة ليـك؟! ده انـت هتشـغلنا عنـدك انـت وهـى بقـي! آخرتهـا أمشـى ورا واحـدة علشـان خاطـرك!

– زى بعضه يامسعد بكرة نمشى وراك انت وعروستك.

– لا إذا كنـت هتمشـى فى فرحـى انـا مـش هتجـوز انـت مافيـش مـكان بتروحـه إلا وبتعمـل فيـه مشـاكل.

– بكـرة أبعـت عزيـزة تقعـد معاهـا شـويه وتعرفهـا إن إسـماعيل مـش ناسـيكى.

– فيك الخير يا ابن عمى.

قالها فيصل ليطمئن إسماعيل على حبه لهنية.

– أنا عايز انزل السوق بعد بكرة

نظر إليه فيصل ومسعد فى استغراب وقال فيصل:

– ازاى وانت عارف أن دبور ورجالته ممكن يكونوا فى السوق!

– مـا اناعـارف انـه هيكـون فى السـوق وممكـن كـمان رحومـة يكـون فى السـوق بـس انـا قـادر انـى أواجـه دبـور ورحومـة .

نظر مسعد وفيصل إلى بعضهما فى استغراب وهما يعلمان أن إسماعيل يحب العناد ولا يسمع إلى أحد فعليهم أن يعرفوا مجاهد حتى يكون متواجدا فى سوق الاثنين معهم. بعدما نزلوا من الجبل وفى اليوم الثانى تم ترتيب الأماكن فى السوق ونزل إسماعيل سوق الاثنين عادى وهو يكشف وجهه، وكان يمر بين الناس والناس تنظر إليه فى استغراب .. والجميع يتساءل أهو مجنون علشان ينزل السوق فى عز النهار ويمشى بين الناس ولا همه رحومة ولا دبور ولا حتى الحكومة . وفى وسط الناس رجل من القرية ينظر إلى إسماعيل وهو يمشى مع مجاهد ويظهر عليهم الهيبة من نظرات الناس إليه .. يذهب هذا الرجل بعد أن مر إسماعيل ومجاهد أمامه على نقطة مزغونة المتواجدة فى السوق وعندما دخل هذا الرجل النقطة وكان فيصل يجلس أمامها ليراقب من سيأتى إليها عندما يرى إسماعيل فى السوق

فقام فيصل ووضع يده فى فمه وصفر إلى مسعد الذى يقف أول السوق، نظر إليه مسعد وأشار لفيصل بعلامة إكس بيده يعنى أن أحدا سيبلغ الحكومة .. دخل مسعد مسرعاً خلف مجاهد وإسماعيل واقترب منهم وقال إلى مجاهد :

- النقطة هتتحرك دلوقتي ..

فنظر مجاهد إلى أحد الرجال الذى كان يرتدى لبس البدو ويغطى وجهه فدخل إلى منزل ودخل إسماعيل خلفه وعاد بعد

قليل بعد أن بدل الملابس مع إسماعيل، ويمشى هذا الرجل الغريب بجانب مجاهد بعد أن لبس جلباب إسماعيل ووضع عمة على رأسه وهرب إسماعيل من الحكومة من الباب الخلفى لهذا البيت وكان فى انتظاره فيصل بحصان، ركب إسماعيل الحصان وهرب من السوق .. يمشى مجاهد مع مسعد ورجل غريب صاحبهم فى السوق وفى ثوان يحاصر العساكر الثلاثة ويرفع عليهم السلاح ويقول الضابط :

- ارفع إيدك لفوق انت وهو .

فيرفع مسعد ومجاهد والرجل أيديهم ويقترب الضابط ويسحب العِمة من على وجه الرجل فلم يجد إسماعيل الذى أبلغ عنه البيه فينظر إلى الواقفين وإلى مجاهد وفى عنف: فين الواد؟

***

يجلس دبور ورجاله جانب الترعة التى تروى أرض ميخائيل وهى تمر بجانب سوق مزغونة ويمر من عليه كل من يشترى بهيمة أو حمار بدلاً من أن يمر من الطريق العمومى أو يدفع عليه حمولة يجرها من هذا الطريق، فكانا يشربان الشاى وكان يجلس معهما رجل من (القرية) يقول له (عطية) فكان دبور يعرض عقله وعضلاته أمام عطية ويحكى عن ما كان يفعله بالناس وإغلاقه إلى بلد بأكمله :

– أنا وانا شاب كنت بانيم الصف من المغرب .. انا ما افتكرش يا عطية حد وقف قدامي وكسبنى .

يبتسم عطية من كلام دبور ويكمل دبور كلامه :

– بس يبقى قدامى مش عيل ماعرفوش .. نهايته انا عايزك تعرف لى مكان الواد إسماعيل .. الواد ده فيه لقمة عيش حلوه.. دا البيه هيدفع فيه تلتميت جنيه .. وأكيد هيكون ليك من الفلوس دى ..

ويأتى إسماعيل من بعيد وهو يركب الحصان وملثم يمر عليهم وهم ينظرون اليه ولم يعرفه أحد حتى اوقف الحصان امامهم وهو ملثم وقال بلهجه بدوى ..

سلام عليكم يا عمدة

فردوا السلام فعرفه عطية من نظرة عينه فابتسم ابتسامة خفيفة وأكمل إسماعيل كلامه :

– امال طريق الدناوية منين ؟

رد دبور بعفوية .

– زى ما انت ماشى كدا يا شيخ أول بلد على إيدك اليمين.

– شكرا ياعمدة

– طيب تعالى اشرب شاى ..

– تشكر يا عمدة

obeikandl.com

وذهب إسماعيل ولم يعرف أحدا إلا عطية من اللبس البدوى الذى يرتديه وطريقة كلامه .. وعاد دبور ليكمل الكلام مع عطية عن مساعدته فى قتل إسماعيل وعطية، يضحك من كلام دبور ودبور مستغرب من ضحك عطية:

– إيه اللى بيضحكك يا عطية .. هو انا بانقط واللا إيه؟

يعلم عطية أن إسماعيل ذهب ولم يستطع دبور ملاحقته فقال :

– لا تنقط إيه بس .. المهم انت عايزنى أدلك على إسماعيل وانت تقتله صح ؟

نظر الرجال إلى عطية وهو يتكلم مع دبور وفى استغراب يقول دبور :

– وليك مية جنيه إيه رايك ؟

– لا ولا ميه ولا ميتين .. إسماعيل اللى عايز تقتله وتاخد تلتميت جنيه كان ممكن يقتلك انت ورجالتك دي الوقتي .

نظر دبور إلى رجاله وهو مستغرب من كلام عطية

– انت بتقول إيه ياعطية .. عيل زى إسماعيل يقتلنى انا ورجالتى ..انت اتجننت!

– لا يا معلم دبور .. إسماعيل اللى بتدور عليه كان واقف قدامك دي الوقتي وراكب حصان وبيسألك وانت بتدله على بلدهم اللى هو مولود فيها ...

تغيرت ملامح دبور هو ورجاله وفى ذهول وقف وهو يحمل السلاح ونظر على الطريق لم يجد أثرا له فعاد وجلس أمام عطية وهو يقول ..

- يا ابن الكلب .. بقى الواد يبقى قدامى وما اعرفوش؟

- شفت بقى ازاى يا معلم دبور يالى بتنيم الصف من المغرب!

ودبور وهو سرحان ويقول:

- خساره فيه الموت ابن الكلب ده .. الواد ابن عمه قال لى هو هيجي لك وماصدقتش .. بس والله فى سماه لاجيبه لو فى بطن الحوت.

- يعنى إيه لسه مصمم انك تقتل إسماعيل؟

- أكيد يا عطية .. لو مااتقتلش وشى هيبقى عامل ازاى قدام رحومة؟

- الواد ده مستحيل يكون عمل حاجة غلط مع رحومة .

- اهو الى حصل بقى . مطلوب حى أو ميت .. والبلد كلها عرفت انى بادور عليه .. علشان اسيبه يبقى لازم رحومة هو الى يقولها ..

- بس انا مش هاعرف ادلك عليه .. انا عارفك يا دبور كويس وواكل معاك عيش وملح وكان نفسى اخدمك بس مش فى إسماعيل ..

obeikandl.com

– إنت خايف والا إيه ياعطية؟

– انا لو ماباخافش من الناس كلها لازم اخاف من فضل يا دبور .

وبعد أن رفض عطية أن يساعد دبور فى البحث عن إسماعيل وانتهى من الحديث معه فى ذلك الوقت .

وعاد إسماعيل إلى المقابر بعد أن مر على البيت طمأن على أبوه وأمه وأخوته عليه .

***

وفى بيت مجاهد يجلس مسعد وفيصل بعد أن عادا من المركز بعد أن قبض عليهم الضابط وحقق معهما ولم يدليا بأى شئ ويقول مجاهد:

– كدا البيه مبلغ المركزين عن إسماعيل .. مادام نقطة مزغونة يبقى عندها خبر أن إسماعيل فى السوق وتقوم قوة كدا فى بلاغ من البيه عنه ..

– والعمل . انا حاسس أن إسماعيل بيغوط كل ما يبعد .

يرد مسعد:

– انا باقول ياخد ورقه ويسافر ليبيا سنة والا اتنين .

يرد مجاهد:

- إسماعيل مادخلش الجيش علشان يسافر .

- دى مشكلة برده والعمل؟

قالها فيصل وهو يفكر ورد مجاهد :

- لازم نشوف حل مع البيه وبأى تمن ..

- طب ونزول إسماعيل المولد؟

يفكر مجاهد ويقول:

- آهو الخوف كله من نزوله المولد..

وهم يفكرون كيف يمر المولد دون أن يتم القبض على إسماعيل أو يُقتل من رجال رحومة التى ستتواجد فى كل مكان فيه.

***

يمر البيه فى المزرعة بين الأشجار ويأتى اليه عبد الهادى وهو يمسك فى يده عصا ويقف جانب البيه الذى نظر إليه وقال ..

- إيه الأخبار يا عبد الهادى ..

- كله تمام يا سعادة البيه. والمحصول السنة دى .. ماشاء الله.

- لا وانت الصادق دا من يوم ما مشى إسماعيل وانت شادد حيلك ..

- الصراحة يا بيه الواد ده كان إتم وبتاع مشاكل ..

obeikandl.com

يفكر البيه قليلا ويقول:

– إلا مشاكل .. دا بيخلق المشاكل يا ابنى .. خلى بالك انت بس من شغلك .. يالا شوف شغلك ..

– حاضر يا بيه ..

ويذهب عبد الهادى من أمام البيه الذى كان يمسك فى يده الشمال شمسية واليمن سيجارة ويمر بين أشجار البرتقال .

***

بيت هنية حيث تقف عزيزة أخت فيصل أمام بيت على ابو همام أبوهنية وتطرق الباب لتخرج عليها بعد قليل هنية:

– أهلاً عزيزة.. تعالى

– انا قلت مابشوفكيش . ولا بتسألى قلت اسأل انا

وتأخذ عزيزة هنية بالحضن بعد أن خطت عتبة البيت ابو طوب نى بباب خشب . وتترك هنية الباب مفتوحا بعد أن دخلت عزيزة وتسأل عزيزة على أم هنية :

– امال فين امك عايزه اسلم عليها ؟

راحت الأرض بس زمانها جايه ..

– والا ماتجيش انا أصلا مش عايزاها تسمع الكلام اللى عايزاكى فيه ..

وتبتسم هنية وعزيزة بعد الجملة :

– خير يا بنت تكونيش جايبه لى عريس .

– مش بالظبط .

وتجلس عزيزة فى غرفة هنية المكونة من سرير نحاسي ومرايا على تسريحة ودولاب صغير بهِ ملابس هنية.. وتجلس عزيزة على السرير وفى المقابل هنية :

– انتِ سيبتي الباب مفتوح ؟

– أيوه زمان ابويا واخوتى راجعين من الأرض .. ماتخافيش .

– لا قومى اقفلى الباب علشان ماحدش يسمعنى وانا باتكلم معاكى ..

– فيه إيه يا عزيزة ماتتكلمى هو انتى غريبة؟

– معلش أصل اللى فهمته من اخويا انك ممكن ماتكونيش تعرفى حاجة من اللى عايزاكى فيها ..

وفى استغراب وابتسامة وهى تقوم لتغلق باب الدار:

– انا باخاف يا عزيزة من الكلام اللى مالوش معنى ده بس ماشى هاقفل الباب وارجع لك .

تخرج هنية لتغلق باب الدار وتعود وتجلس أمام عزيزة:

– خلاص يا ستى اتقفل الباب.. خير؟

obeikandl.com

وفى هدوء وبرود أعصاب تقول عزيزة :

– إسماعيل بيسلم عليكى ..

وهى تبتسم وتمسك يد عزيزه وفى لهفة تقول:

– انت شوفتيه وهو عامل إيه؟

– لا دا فيصل اللى قايل لى اجي لك وابلغك السلام .

تقوم هنية من على السرير وتنظر إلى المرآه وتقول:

– السلام دا غالى قوى يا عزيزة .. من يوم ما سمعت أن الحكومه بتدور على إسماعيل وانا مابيجليش نوم .. ومابيقتش اشوفه كل يوم وهو بينور طريقى لما باطلع من البيت، ويوم ما قالوا إسماعيل اتضرب بالنار حسيت إن الطلقه جت فى قلبى وبقيت اعيط واصوت فى نفسى .. لحد ما رجع ابويا وقال لى دا عايش . ساعتها بس ردت فيّ الروح ..

وتعود هنية و تجلس على السرير أمام عزيزة وتقول :

– انا عايز اشوفه ياعزيزة .

– لا دا مستخبى فى الجبل . ومش أى حد يطلع الجبل ما انتِ عارفه ..

– أنا اطلع لإسماعيل جبال مش جبل واحد . دا انت لو شوفتيه وهو بيتخانق علشانى فى المولد تعرفى انه راجل دمه حامى . ماخافش هو بيتخانق مع مين كل اللى همه أن واحد عاكس هنية .

– المهم دي الوقت هو كان خايف لتكوني ماتعرفيش انه بيحبك وعايز يتجوزك . علشان كدا بعتني ليكي .

– قولي له مايخافش . انا عارفه انه رايدني من أول ما عينه جت فى عيني فى المولد . بس انا عايزه اشوفه يا عزيزة أملى عيني منه واريح قلبي اللى واجعني من يوم ما بعد .

– ما انا قلت لك ماينفعش .. مشوار الجبل بعيد وممكن حد يقول لابوكى والا حد من اخواتك ويزعلك ..

تفكر هنية قليلا وفى حيرة :

– طب أمانه عليكِ تبعتي له السلام . وقولي له هنية مابقيتش تطلع من البيت مادام مش هتشوفك بتعترض طريقها زى الأول .

تبتسم عزيزة من سرحان هنية وهى تتحدث عن إسماعيل:

– وانا اللى كنت جايه وخايفه تصدينى والا تزعلى منى طلعتى مستنية السلام من زمان .

– أى حد من طرف إسماعيل مايتردش يا عزيزة .

وبعد الحديث فى أمور عادية تعود عزيزة وتترك هنية بعد أن أتى أبوها وأمها من الخارج وهنية تدخل غرفتها وهى تنظر إلى المرآة وتبتسم وتعود إلى نظرات إسماعيل إليها فى الطريق وفى المولد ....

تعود عزيزه إلى أخيها فيصل وتحكى له ما دار بينها وبين هنية.. فقال :

– إسماعيل هينزل المولد يبقى عرفيها انها هتقابله فى بيتنا أو أى مكان يكون آمن .

ينادى فضل على فيصل بعد أن عاد من الأرض ونزل من على الحمار:

– فيصل .

– يأتى فيصل من الداخل ويترك أخته عزيزة تنشغل بمصالح البيت ويقف فيصل أمام أبيه ويقول:

– مين اللى هيروح لإسماعيل النهارده ؟

– مافيش حد مجاهد ومسعد فى سوق العبور بيبيعوا زرع .

– ازاى يا ابنى وإسماعيل عارف أن مافيش حد هيجي له علشان مايقلقش وينزل هو؟

– أنا ومسعد عرفنا امبارح وهو قال هينزل يشترى اللى هو عايزه من جنب الجبل من غير ماحد يشوفه .

يهز فضل رأسه وفى خوف : ماشى .

يترك فضل فيصل ويخرج وهو يحمل البندقية ناحية السرايا ليعرف آخر الأخبار وكيف تمر الأمور فى البلد .. وهل سينصب المولد هذا العام أم لا، فكان هناك رجال فى القرية تعترض على فكرة المولد وتقدم شكاوى لإلغائه من كثرة مشاكله ؟

obeikandl.com

فى نقطة برنشت التابعة إلى مركز العياط يجلس الضابط على مكتبه وعلم مصر أمامه على المكتب وصورة جمال عبد الناصر خلفه ويرن جرس تليفون المكتب المتواجد أمامه فيرفع سماعته ويقول:

- آلو .

.....

ينتبه الضابط ويرد:

- أيوه مع سيادتك يا افندم .

.....

- أنا هجمت على البيت والبلد أكتر من مرة ولم يتم القبض عليه .

.....

- تمام سيادتك يافندم ..

ويغلق الضابط الخط وينظر إلى الباب ويقول :

- يادى إسماعيل اللى عامل لى فيها خُط الصعيد !

ويرن جرس الإنذار الذي أمامه، فيدخل عليه عسكرى:

- تمام يا افندم .

- حضر القوة نازلين الدناوية ..

obeikandl.com

ويعطى العسكرى التحية ويخرج من مكتبه .

وفى سوق العبور وعربيات الخضار والبيع وتجار الجملة والقطاعى مشغولون فى البيع والشراء والصبيان يحملون الزرع على كتفهم من عربية إلى أخرى ويقف مسعد ومجاهد أمام عربية عليها خضار خاصة بهم ويقول مسعد:

– إنما مانجيب الواد إسماعيل يشتغل مع العيال دى بدل ماهو محبوس فى الترب كدا !

ينظر مجاهد شمالا ويمينا ويقول :

– ولما البغل اللى واقف هناك ده يعرف رحومة والا دبور وييجيوا يقتلوه هنا. احنا هنعرف منين ؟

بس ماتتلفتش عليه دلوقتي علشان مايعرفش اننا واخدين بالنا منه ..

– هما كمان بيراقبونا فى مصر ..

– فى أى مكان هتلاقى رجالة رحومة .. مش بس كدا دا ممكن يمشوا رجالة ورا البهايم يراقبوها .. البيه مش قليل فى البلد ولا من السهل واحد يضرب عليه نار وياخد منه الطبنجة ..

– بس موضوع إسماعيل لازم يخلص الواد هيروح مننا فطيس .

– سيبه دي الوقت فى الجبل ووقت مانجهزه هنعرف نقوم فى وش رحومة ورجالته .. بس دي الوقت وقت التفكير .

ويأتى أحد التجار الذى اتفق على شراء الخضار ويقول:

- سلاموا عليكم يارجالة .

***

وبعد أيام يجلس فيصل مع إسماعيل فى المقابر بعد أن أحضر إليه الطعام والشراب ويقول:

- كلها يومين وهاخليك تقابلها فى المولد .

يظهر الفرح والابتسامة على وجه إسماعيل بعدما أخبره فيصل بما دار بين عزيزة وهنية .

كان يعلم إسماعيل أنه من الممكن أن يُقتل أو يُسجن ولكن فى هذه الظروف التى يمر بها الإنسان لابد أن يبتسم إذا تذكر أشياء من الماضى فيعيش لحظات وسط الحزن والهم مبتسما فيتعجب من حوله من هذه الابتسامة فى وسط الحزن ولكن العقل يريد أن يشغل نفسه فى أمور ليس لها علاقة بالواقع . فإسماعيل يريد أن يستمع إلى ما دار بين عزيزة وهنية طيله الوقت فيُمنى نفسه باللقاء ونظرة العين لينسى ما حدث ولكن بعد أن يسرح فى هنية وقلبه الذى دق من أول نظرة يعود ويفوق من الحلم الذى كان يحلمه وفيصل يتكلم ليجد نفسه فى المقابر بين الميتين فيزيد شغف الانتقام من الذى أوقعه فى ذلك (عبد الهادى) وكيف انتقم منه وهو لم يخرج من المزرعة إلا فى عربية بين الشباب والبنات الذين يعملون معه فى المزرعة أو يركب عربية محملة

obeikandi.com

بالمحصول لبيعه بالسوق . وهل انتقم منه فى ذلك الوقت أم أنتظر نهاية المشوار لكى أعرف ما عقوبة الانتقام منه ولو وصلت إلى القتل وانتهاء حياتى التى رسمتها فى السجن سأفعلها وأقتله . ولكن علينا أن نبدأ فى بداية النهاية لنعرف مدى عقوبة كل واحد من الذين يبحثون عنى .

وفى سرحان يضع فيصل الشاى الذى كان يحضره فى كوب ويعطى إسماعيل وهو سرحان :

- امسك ياشيخ العرب..

وإسماعيل يطيل النظر إلى السماء وهو مسنود على جدار تربة ..

- إسماعيل ..

يعود إسماعيل من السرحان يجد فيصل يمد يده بكوب من الشاى .

- إيه سرحت والا إيه؟

- أيوه يا ابن عمى .

- ماتشيلش هم بكرة هتفرج ..

- يارب .

وبعد أن انتهى فيصل من الجلوس جانب إسماعيل فى ذلك اليوم يعود إلى البيت فيجد مجاهد ومسعد يجلسان فى بيت مجاهد، فكان الشباب يجتمعون كل يوم عند بيت مجاهد فى غرفة خاصة

obeikandl.com

بالشباب مع خوات مجاهد الصغار فأسرة مجاهد مكونة من أربعة شباب وثلاث بنات وأبيهم وأمهم . والجميع يسكن فى بيت يقرب القيراط ،غرفة خاصة بالبهائم آخر البيت وطرقة فى وسط البيت تمر على جميع الغرف المتواجدة على شمال الطرقة. فعندما يغضب الأب أو الأم مع أحد من أبنائهم يذهب إلى أكبرهم ليجلس معه أو يبيت عنده وهو مجاهد . أما إسماعيل فالبيت بعيد عن بيوت العائلة فمن الصعب أن تذهب إلى بيت إسماعيل لتجلس عنده كل يوم ولكن إذا استدعى الأمر فالجلوس هنا أو هناك واحد والأهم من الجلوس وجود المربع كامل ولكن فى ذلك الوقت نجد المربع ينقص إسماعيل أكبرنا .

- انتوا جيتوا ؟

- لسه داخلين قدامك .. إيه أخبار إسماعيل ؟

- تمام لسه سايبه اهو .

وجلس فيصل بين مجاهد ومسعد ويقول:

- عايزين نشوف حل الواد هيموت بحسرته فى الجبل .

- لسه باتكلم مع مجاهد قبل ما تيجى .

فالجميع يحس بالنقص فى غياب إسماعيل وهو الذى لم يغب عن مجلسنا أبدا فإذا اضطر الأمر أن نذهب ونجلس معه ولكن كل واحد فيناعنده أشغاله مع ابوه فى الأرض طول النهار ولا

نلتقى إلا فى الليل وماذا نفعل .. نظر مجاهد إليهم وهو الذى يفكر بينهم ويدبر ماذا نفعل ليعود إسماعيل ويقول وهو سرحان:

- بندقية اتنين تلاته .

- انت بتعد إيه؟

- الأماكن اللى ممكن يكون فيها رجالة رحومة.

وعد الشباب الذين سيساعدونه في مواجهة رجال رحومة.

فقرر مجاهد المواجهة مثل إسماعيل ولكن بهدوء.

***

تجلس هنية فى غرفة وتجلس بجانبها عزيزة

- انتى جايبانى هنا ليه ؟

- عايزاك تقعدى معايا شوية .

- شوية إيه بس ماتيجى ننزل المولد .

- لا فيصل محرج علي ما انزلش المولد فى النهار .

خليكى بس قاعدة خمسة .

ويفتح الباب ويدخل إسماعيل بعد أن عاد من الجبل وارتدى الجلباب الجديد والعمامة وتزين لهذا اللقاء وبعدها سينزل المولد ويلقى إسماعيل السلام، تنظر هنية إلى الباب وفى لهفة :

obeikandl.com

- إسماعيل ..

يبتسم إسماعيل وهو ينظر إليها فتقول عزيزة:

- شوفتى القعدة معايا بتجيب الحبايب ازاى!

لم تنتبه هنية إلى كلام عزيزة فهى سرحانة فى عيون إسماعيل الذى لم تلقه منذ أن غادر البلد ويقترب منها:

- ماشى انا قاعدة بره يا هنية .

لم ترد هنية على عزيزة وتقول عزيزة وهى تخرج:

- البت اتشلت والا إيه؟

يقترب إسماعيل من هنية ويمد يده ويسلم عليها وهى لم تمد يدها من نظرات عينها وسرحانها فيه

يبتسم ويقول:

- غيبة طويلة شوية .

- إلا طويلة يا إسماعيل ..

- انتى عامله إيه يا هنية ..

- سيبك انا عامله إيه انت اللى عامل إيه ؟

- زى ما انتى شايفه مطرود من البلد كلها.

تنظر إليه ولم تنزل عينها من على وجهه وهما يجلسان أمام بعضهما على كنبة فى الغرفة وبهدوء:

obeikandl.com

– اتكلم انا سماعك . بس سيبنى اسمعك واملى عينى منك بقى لى سنة ماقربتش منك، كنت بتقف فى الطريق من بعيد علشان تشوفنى واشوفك ..وانا كنت بأجل كل مصالح البيت لحد مترجع من الشغل علشان الاقيك فى طريقى .

يبتسم إسماعيل ويرد عليها .

– كنت خايف لتكوني مش عارفه انى باحبك يا هنية .

– دا انا اللى كنت خايفه ولسه خايف انك تضيعي منى .

وتخرج هنية من يدها غويشة كانت ترتديها وينظر إليها إسماعيل .

– فاكر يوم ما اديتني الغوايش دي؟

يبتسم ويقول:

– ياه لسه معاكى.

– زى النهارده من سنة .. مديت إيدي واديتنى الغوايش دي وبعدها قامت الخناقة بس انا ماسيبتش الغوايش .

– دا انت فاكرة اليوم كمان .

– هو دا يوم يتنسى يا إسماعيل . اليوم ده انا لاقيت قلبى خايف عليك أكتر من نفسى لما اتخانقت عشانى .. صورتك ماغابتش من عينى طول الوقت . كل يوم اعدى من المكان واقول إسماعيل اتخانق عشانى هنا .. وفى نفس المكان مسك الغوايش دي بإيده ..

obeikandl.com

– هنيـة انـا مـش عـارف اقـول لـك إيـه .. بـس الـلى هاقولـه إن لـو ربنـا نجانـى مـن الـلى انـا فيـه مـش هسـتنى يـوم واحـد إلا لمـا تكونـى لي.

– هينجيك انا حاسه انك هترج على يا إسماعيل ..

ينظر إليها ويقول:

– هارجع يا هنية ..هارجع ..

يدخل عليه فيصل ويقول له :

– يالا يا إسماعيل ..الرجالة جهزت ..

يقوم إسماعيل من أمام هنية وهى تمسك يده فى لهفة:

– هترجع تانى انا مستنياك ..

– راجع راجع يا هنية .

ويقـوم إسـماعيل ويذهـب مـن الغرفـة بهـدوء وتنظـر إليـه هنيـة مـن الخلـف وبعـد أن خـرج مـن الغرفـة وجـد فيصـل:

– يالا .

– يالا .

قالهـا إسـماعيل وهـو يتذكـر كلمتـه إلى هنيـة انـه راجـع . فخـرخ إسـماعيل مـع فيصـل إلى المولـد بعـد أن تأكـد فيصـل أن جميـع شـوارع المولـد أمـان ولم يـأت أحـد مـن رجالة رحومـة ولا دبـور حتـى الآن ..

obeikandl.com

مجاهد ومسعد فى المولد مع رجال العائلة لتأمين المولد،فكان على إسماعيل أن يخرج ولا يريد أن تنشغل الناس باللمة حوله، لكن عندما هل على المولد مع فيصل نظر الجميع إليه ومنهم من تلمع عيناه بالنظر إليه باستغراب وهو يهل على البائعين المتواجدين فى المولد .. يعرف الجميع أن إسماعيل ينزل المولد ليتحدى الجميع مثلما فعلها فى السوق ولم يخف، يبتسم إسماعيل وهو يرفع يده إلى كل من يشاور له بالترحيب ولم ينشغل إسماعيل بأحد من الذين يريدونه ولكن كان يعلم أن أبناء عمه قادرين على حمايته فى أى مكان يذهب إليه، ويقف ينتظر دوره فى ضرب المدفع وقد دفع حساب خمس ضربات للمدفع إلى صاحبه وجاء الدور والجميع صمت ينتظر هل يقدر إسماعيل الشاب القصير على أن يضرب ذلك المدفع المتواجد عليه ما يقرب من الخمسين كيلو حديد . مسك إسماعيل المدفع ودفعه إلى الأمام قليلاً وهو يمسك يده مرة والثانية والثالثة دفع المدفع بقوة لكى يصطدم ويعود والجميع من حوله يهللون وعاد المدفع وضرب الثانية . وبعد الضربة الثانية طلب من صاحب المدفع أن يزيد الحديد وابتسم الرجل وأزاد الحديد على المدفع ودفع إسماعيل المدفع قليال ليعرف ما القوة التى يريدها المدفع ليصطدم ويعود وضرب ثلاث ضربات وابتسم إلى الواقفين وذهب من أمام المدفع ومر فوجد نيشان البندقية الرش يقف عليها شباب كثيرون يمسك إسماعيل أحد البنادق وينظر إلى سن الدبانة المتواجد ويطرقها ويمسك الآخر

ويهز رأسه بنعم ويطلب رش من صاحب العربية ويضع واحدة فى البدقية والباقى فى فمه تحت لسانه حتى لا ينشغل وهو يضرب ويصوب ناحية العروسة بين أرجلها يوجد بومبة فكان إسماعيل يضرب على العروسة الحديد المتواجدة على العربية ويتخيلها عبد الهادى ورحومة أو البيه . ظل واقفاً إلى أن انتهى من الرش المتواجد معه فأعطاه صاحب العربية رشا ثانيا فرفض إسماعيل وذهب من أمام العربة وكان فيصل يقف بجواره . ومر على بائعة الفطرة وتقابل مع جمال أخيه وسلم عليه وحضنه وذهب من .. أمامه ظل الجميع ينظر إلى إسماعيل وهو يمر ولا يفكر من ينظر إليه فهو يعرف أن بعد قليل ستعرف النقطة أن إسماعيل فى المولد ولكن لا تجرؤ على دخوله أو القبض عليه فى الزحام وهو الذى يعرف كل بيت متواجد فى المولد ومن الممكن أن يدخل أى شارع ومن على الأسطح يذهب إلى أى مكان . ووقف أمام الأراجوز والراقصة تشغل المتفرجين فى الخارج ليدخل الناس ويتفرجوا عليها فى الداخل وينظر إسماعيل إلى فيصل ويطلب منه أن يدخل فيرفض فيصل دخولهم شادر الأراجوز خوفاً من أن هذا المكان محكم ولا يوجد فيه منفذ للهروب فهز إسماعيل رأسه وذهب ليقف أمام عربية غوايش وخواتم

فيمسك أحد الخواتم ويرتديه فى إصبعه في اليد اليمنى وكان فيصل مشغول بالمشاهدة معه على العربية ويأتى من الخلف علوان ويمسك إسماعيل من يده ويبتسم ويقول اخيرا وقعت

يـا إسـماعيل .نظـر اليـه إسـماعيل وهـو لا يعرفـه ولم يلتـق بـه مـن قبـل ولكـن سـمع عنـه .

ابتسم إسماعيل وقال :

– انت مين فيهم ؟

– علوان ..علوان اللى هيسلمك ويقبض تمنك ..

تغيرت ملامح فيصل عندما مسك علوان إسماعيل من يده

– هتمشـى معايـا بالـذوق والا هاطخـك عيـار واقـول كان هيهرب منى ؟

– بس تفتكر النهاية هتبقى على إيدك يا عم علوان .

– مين عارف نهايتك فين .بس انا فيها .

يـترك علـوان يـد إسـماعيل ويمسـك البندقيـة المتواجـده عـلى كتفـه اليمـين ويقـول .

– هتمشى ولا هو عيار ونخلص ..

يخـرج فيصـل خنجـرا مـن جيـب الجلبـاب وينظـر بعيـداً، يأتـى مجاهـد ومسـعد ومـن خلـف علـوان يرفـع مجاهـد البندقيـة الخاصـة بحجـاج ابـو عبـد الحـى فى ظهـر علـوان ومسـعد يمسـك الطبنجـة التـى أخذهـا إسـماعيل مـن البيـه .

ويقول إسماعيل إلى علوان .

obeikandl.com

– العيار قبله اتنين .ومين عارف الإلى الاسرع ولا الخرطوش..

تتغير ملامح علوان وهو ينظر إلى مجاهد ومسعد وفيصل الذى يضع الخنجر فى جنب علوان ويمسك إسماعيل البندقية من علوان وهو فى ذهول .

– دى بقى ماينفعش تترفع عليّ وانا وسط بلدى . ماتخافش صاحبك هيرجعهولك .

ويترك علوان البندقية من يده وهو يقول ..

– بتتحامي فى ولاد عمك .. كدا حسابك تقل قوى معايا..

ينظر إسماعيل إلى البندقية ويقول ..

– خسارة البندقية دى تبقى معاك . بس انا عارف أن الميرى بينضف الوسخ .. أنا أول مرة اشوفك بس اوعدك مش هتكون اخر مره.. ودي الوقتي اطلع من المولد ويبقى تعالى خد بندقيتك بالليل ..

ويعطى إسماعيل البندقية إلى فيصل ويذهبان من وسط التجمعات التى وقفت تنتظر ماذا سيحدث .

– يالا بينا زمان الحكومة على الكوبرى .

وذهب الأبعة وكان إسماعيل يمشى فى الوسط والثلاث من حوله يحمونه بعد أن أشهروا الأسلحة

يخرج إسماعيل من المولد بعد أن تقابل مع فضل

– دى هدية صاحبك .

يمسك فضل البندقية وهو يبتسم ويقول ..

– حلو قوى كدا . لولا الملامة كنت اقولك اضرب عيار بيه . بس مش عايزين نزود المشاكل .

وذهب إسماعيل من البلد وفى هذا الوقت اتت الحكومة والضابط فى البوكس يقف أمام السرايا وينزل البلد يفتش بيت أحمد ولم يجد أحدا يذهب إلى المولد ويبحث عن إسماعيل فى جميع الشوارع وكان المولد انتشر عساكر فى جميع الاتجهات و أتى علوان نحو الضابط وقال له إسماعيل فى العيلة .

ذهب الضابط والعساكر إلى بيوت العائلة وجدوا فضل والشباب يجلسون أمام مجاهد ويتناولون الشاى يقترب الضابط منهم ومعه علوان وعندما رآى فضل الضابط وقف الجميع لتحيته ..

– أهلاً حضرة الباشا .. اتفضل .

وهو يظهر عليه الغيب يقول الضابط :

– فين الواد يا فضل ؟

وباستغراب :

– انهو واد .. ولادنا كتير الحمدلله زى ما انت شايف .

– إسماعيل .

obeikandl.com

– وإيه اللى هيجيب إسماعيل هنا يا باشا !!

– إسماعيل كان فى المولد وجت إخبارية بكدا .

– خلاص مادام فى المولد أكيد هيكون هنا ولا هنا .

يرد عليه علوان ويقول :

– إسماعيل ساب المولد و جه هنا ..

وهو يبتسم قليلاً يقول فضل إلى علوان:

– وانت ازاى تسيب عيل زى إسماعيل وانت عارف انه مطلوب وحضرة الضابط بيدور عليه .. دا لو انا شفت إسماعيل والا عرفت مكانه هاقبض عليه وهارميه تحت رجلين الباشا ...

ينظر الضابط إلى علوان وفضل يكمل الكلام :

– هو مش علوان غفير معانا والا إيه يا باشا .. يعنى معروف الغفير تحت أمر حضرتك والعمدة ..

يتغير وجه علوان وفضل يتكلم والضابط ينظر إلى علوان فى غضب ويواصل فضل الكلام :

– والا خفت تقبض عليه .. طب ماشى ارفع عليه سلاح، اضربه فى رجليه لحد اما الباشا ييجى ونقبض عليه .. ألا بحق هى فين البندقية الميرى بتاعتك ؟

ينظر فضل إلى الضابط ويقول :

obeikandl.com

– انا آسف يا باشا .. بعد إذنك انا أول مرة اشوف غفير ينزل مولد من غير السلاح اللى بيتحامي فيه ..

يقول الضابط إلى علوان وهو غضبان .

– فين السلاح بتاعك .. ولو فعلا شفت إسماعيل فى المولد وتعرف مكانه مرفعتش عليه السلاح ليه .. ولا ضربته عيار ..

يبتسم فضل ويقول والجميع يقف حوله :

– انا عارف إيه اللى حصل ياباشا . إسماعيل واد معاه فلوس أكيد دفع ليه أى حاجة علشان يسيبه يمشى ..

ولم ينطق علوان بأى شئ خوفاً ليعرف الضابط أن السلاح الميرى اتاخد منه . ويقول الضابط إلى علوان .

– لو الكلام اللى فضل بيقوله صح انا هقدم طلب بنقلك من المركز كله ..

يقول فضل إلى الضابط .

– يا باشا .انا عايز اقبض على إسماعيل قبل ما حد يقتله .

تتغير ملامح الضابط ويقول .

– إيه ؟

– أيوه يا باشا . جوجو بيه مستأجرعليه ناس تقتله . علشان كدا انا عايز الحق اقبض عليه ..ولما يكون فى إيد الحكومة

احسن وأأمن هيقضى حياته كلها فى السجن احسن مايموت قتيل ومنعرفش مين اللى قتله .

– اسمع يا فضل لو عرفت انك بتكدب علي انا هتعامل معاك معاملة تانيه خالص .

– ياباشا بقى انا سايب أرض بالفدادين ومسكت فى شغل الميرى . ييجي عيل زي سماعيل يخلينى اخسر الميرى . طب علي اليمين لو فيصل ابنى اللى قدامك ده عمل حاجة لاجيبه النقطة متكتف . انا عارف انك شايل منى علشان علوان قالك أن إسماعيل قريبى .

بس اديك شايف وعارف انا وكل العيلة بعيد عن أحمد وابنه اصله بتاع مشاكل وكمان احنا مش عايزين نعرفه من دلوقتي .. ولو عايزنى اجى معاك نفتش على إسماعيل فى بيتهم يالا بينه .

ينظر الضابط إلى فضل ويقول وهو يهز رأسه.

– لا يافضل خليك بس انا عارف هجيب إسماعيل ازاى

– ومالـه .ولو عايزنى انا وولاد عمه نيجى معاك نجيبه احنا معاك .اهو نحميه من علوان اللى متفق مع غفير البيه على قتله .وقبض كمان ..

تتغير ملامح علوان من كلام فضل والضابط يكشر فى وش علوان ويقول وهو مستغرب:

– إيه؟

– والله يا باشا فضل كداب .

– أكيد كداب بس انا لو كداب انت ممسكتش إسماعيل ليه فى المولد ولا .فيه حل من اتنين واحد تكون خدت فلوس منه علشان تسيبه يمشى أو ماشفتوش أصلا فى المولد وتعبت حضرت البيه الضابط بمعلومات غلط .

يغمض علوان عيناه ويقول الضابط .

– انت عارف لو الكلام ده فعلا . انك تبقى غفير وتقبض فلوس علشان تقتل متهم فى قضية ولا بلاغ .

– يا باشا ايه اللى يسبت علي كدا .

– انك شوفت إسماعيل فى المولد وماضربتوش عيار .

قال له فضل لتتغير وجه نظر الضابط فى علوان .

– نهايته . الواد مش فى العيلة يا باشا .واى بيت تشاور عليه انا معك وندخله من غير مانخبط على الباب .

ينظر الضابط إلى فضل وهو يعرف أن فضل حويط ولا يقول ذلك إلا إن كان إسماعيل غير موجود فى بيوت العيلة . وينظر إلى علوان ويقول وهو غضبان .

– لا. يا فضل بس هيجى اليوم اللى هيقع فيه إسماعيل .وكل اللى بيسانده على الهرب . وانت قدامك ساعة تجيب السلاح

obeikandl.com

وتكـون واقـف قدامـى فى النقطـة

يمشـى الضابـط مـن قـدام فضـل والشـباب يبتسـم ويقـف علـوان بعـد أن ذهـب الضابـط فيقـول لـه فضـل:

– ماتقلقــش ســاعة كتــير .. اقولــك روح المولــد خــد بندقيــة مــن بتــاع البومــب وروح النقطــة بيهــا. وهــو الضابــط طيــب مــش هيشــوف رقــم البدقيــة ..

يظهر الغضب والحيلة على وجه علوان ويقول .

– انـا لـو اترفـدت مـن المـيرى هرجـع شـغلنتى الـلى بحبهـا وانـت تعرفهـا كويـس ..

– اكيـد عارفهـا .ومـين فى البلـد ولا فالمركـز ماتسرقـش منـه بهيمـة ولا خـروف عـلى ايـدك .

– أيوه يعنى الأحسن إنى أفضل فى الميرى .

– والله دا بيتوقـف عـلى حاجـة، انـك توصـل لـلى أجـروك تمسـك إسـماعيل أو تقتلـه .. إسـماعيل وراه عيلـة ونـاس .. وكـمان تقـول لهـم إن الـلى عمـل ليكـم صيـط وبتخوفـه النـاس بـه مـش قوتكـم ..لا ضعـف النـاس وخوفهـم من المـوت .. وكـمان عرفهـم أن إسـماعيل لو مـات فى ميـة إسـماعيل فى العيلـة والبلـد يقـدروا ياخـدوا حقـه منكـم فى غمضـة عـين زى مـاكان هيحصـل مـع دبـور يـوم السـوق . بـس احنـا سـايبينكم تفـردوا جناحكـم وقوتكـم عـلى الضعيـف والغلبـان

.. بس لما تراقبوا واحد ليه ضهر أفتكر أن كفاية عليكم لحد كدا . اسمع .. البندقية بتاعتك فى ماسورة المصرف اللى على أول الطريق . روح خدها وروح للظابط اديله التمام .واعمل حسابك المرة اللى جاية ممكن تنضرب بيها عيار يخرجك منها وانت شغال فى الميرى علشان تبقى شهيد الميرى ..

ينظر إليه علوان فى غضب وإلى مجاهد ومسعد وفيصل وهما بتسمان له ويمشى وهو يتوعدهم نظرة عينيه لذى تصب شرار بعد أن اهانه فضل أمام الضابط .ويقول مجاهد .

- انت بترجعهاله ليه ياعم .

- مش مهم يترفد من الميرى المهم أن لو مسك إسماعيل مايقتلوش . ومين عارف ممكن يمسك إسماعيل ويقتله . انما بعد اما الضابط عرف انه شغال للبيه مش هيجرؤ يضرب عيار واحد عليه لو اتمسك .؟

ولم يكن فى نية فضل أن يكتسب ضد اخر مثل علوان فهو مستاجر فقط وليس هناك عداوة بينه وبين إسماعيل وذهب علوان إلى المصرف ورجال ونساء يمشون على الطريق كثيرين منهم من يأتى إلى المولد ومنهم من يخرج وينظر علوان إلى داخل الماسورة المتواجده على المصرف لتنقل الماء من مكان إلى الاخر فلم يجد شيئاً ويقوم بعد أن نظر داخلها يمشى على الماسورة الناحية الاخره ليجد شوال مشمع مركون عليه جربة

بوص يذهب يفتح الشوال يجد البدقية ينظر اليها ويتاكد انها هى يأخذ نفس عميق ويخرج للاطمئنان على وظيفته بعد أن وجد السلاح . يذهب إلى النقطة ليخبر الضابط بوجود السلاح ويدخل على مكتب الضابط الجالس يقرأ فى ورق أمامه فى دوسيه .

– تمام ياباشا .

ينظر اليه الضابط فيجد علوان يحمل السلاح ويقف أمامه

–مالسلاح موجود اهو ياعلوان امال إيه .

– أنا قلت مالوش لزوم ادخل بيه المولد يا باشا.

يقترب علوان ناحية المكتب ويقول الضابط

– انت شفت الواد فعلا يا علوان؟

– والله العظيم شفته وهو رايح ناحيه العيلة .

يفكر الضابط فى هذا الكلام ويقول .

– يبقى هرب قبل ما انا اجى البلد .. بس ازاى بالسرعة دى

– سيادتك انا براقب البلد وعارف أن فضل هو اللى بيبلغ بالحمله قبل ما تقوم .

– المركز نفسه مابيبقاش عارف انى مقوم الحملة فى الوقت دة .

– اكيد فى حد بيبلغ فضل أن سيادك طالع الدناوية .

يعود الضابط فى التفكير وعلوان يقف أمامه ويقول .

obeikandl.com

- اسمع يا علوان .

***

يجلس مأمور المركز فى مكتبه بالعياط ويدخل عليه جوجو بيه يجلس المأمور على المكتب رجل كبير السن يرتدى البدلة الميرى جسمه مليئ بشرة الوجه بيضاء ذو عينان ضيقة شنب ابيض يكسو الوجه يوجد شعر خفيف جوانب الراس يجلس على مكتب كبير علم مصر على يمين المكتب دولاب اوراق على شمال المكتب ترابيزات اجتماعات بعيد عن المكتب قليل و أمامه دوسيه قضايا يقرأ فيه وعندما يدخل جوجو بيه يقف المأمور ليستقبله

- اهلاً اهلاً جوجو بيه .

يدخل البيه وهو يبتسم وفرحان بتلك المقابلة، فهو يعرف سعادة المأمور من أيام ما كان فى الوزراة قبل الثورة وكان ينجز له مصالح كثيرة إذا وقفت أمامه .

- أهلاً يا سيادة المأمور.

- اتفضل

يجلس جوجو بيه على الكرسى المتواجد أمام مكتب المأمور .

- وانا أقول المركز منور ليه أتارى حضرتك فى القسم .

- شكراً يا سعاته البيه .

- تشرب إيه يا باشا .

obeikandl.com

قالها سعد وهو يعلم أن من يجلس أمامه كان يقف له جمهورعريض عند حضوره إلى أى مكان قبل الثورة

– لا مالوش لزوم .

– لا والله دا انت أول مرة تيجى مكتبى .

يبتسم جوجو بيه ابتسامة خفيفة ويقول:

– يا سيدى مش هازعلك .. قهوة زيادة .

يرن المأمور جرسا بجانبه على المكتب فيدخل عليه عسكري .

– اتنين قهوة زيادة .

– اوامرك يا فندم.

يخرج العسكرى ويقول سعد .

– والله واحشنى يا باشا .ونفسى اقعد معاك بس انت شايف. الظروف اللى بتمر بيها البلد . مش مخليه حد يعرف يقعد مع الناس اللى ليها فضل عليه.

– لا ماتقولش كدا .فضل إيه . دا انت اخويا الصغير.

– ليا الشرف يا باشا .انك بتعتبرنى اخوك الصغير .

– بس انا جاى فى موضوع تانى خالص غير انى اشوف سيادتك .

– اؤمر يا باشا .

obeikandl.com

– انا شايف أن البلاغ اللى مقدمة ضد الواد اللى سرق سلاحى والفين جنيه . مش واخد أى اهتمام من المركز . غير لما بكلم حد من الوزارة .

– والله يا باشا .انا حزين فعلا لى حصل ده بس اوعدك أن البلاغ ده انا هتم بيه من دلوقتي .. انا فعلا كنت ناقل غفير من المركز للنقطة التابع ليها بلد الواد اللي سرق علشان يمدنا بأخر الاخبار . بس خلاص من النهارة الواد ده اوعدك انى هجيبه لسيادتك لحد عندك .

يبتسم جوجو بيه من هذا الكلام ويقول .

– انا بتاسف لو ازعجت حضرتك ولا حاجة يا سعادة البيه بس انا راجل ليا وضعى فى المكان يجى حته عيل زى ده يسرق منى الطبنجة الخاصة والفين جنيه .

يدخل العسكرى بالقهوة ويضعها أمام جوجو بيه ويخرج ويقول المأمور .

– اتفضل القهوة يا باشا واوعدك انى هتابع الواد ده بنفسى .

يمد البيه يده إلى فنجان القهوة المتواجد أمامه ويرتشف منه وهو يفكر ويهز رأسهبما سمع من سعادة المأمور

***

يجلس أحمد وزوجته وأبناؤه فى وسط البيت وأمامهم العشاء بعد أن عاد أحمد من العمل وتنظر أم إسماعيل إلى الطعام وتدمع عيناها وهى تمسح دموعها فى إيشارب على رأسها ينظر اليها أحمد الذى لم يمد يده للطعام بعد ويقول:

– عارفه يا ام إسماعيل . بس هعمل إيه .خايف اجيبه الحكومة تمسكه وخايف ارحله البيه يعرف مكانه .

– اسبوعين ماشفش إسماعيل من بعد المولد ليه هو كان عمل ايه للبيه .

يبتعد أحمد عن الطبلية المتواجد عليها الطعام وتدمع عيناه هو الاخر بعد أن تذكرلة ابناءه الثلاثة على الطبلية كل يوم وينظر إلى الطبلية الان لم يجد ابنها البكر .فتدمع عيناه .

– ربنا يستر عليه . وتتحل

– امتي بقى. كل ده وابنى بعيد عن البيت ليه هو قتل قتيل .

– انا هروح لفضل هشوفه وصل لحد فين .مش معقول هسيب الواد كده طول العمر .

ويسود الصمد فى البيت بعد أن سمم الطعام والشراب على البيت فيجلس جمال واخته يستمعان إلى الكلام الذى يقوله ابيه وامه عن إسماعيل فى حزن وخوف .

***

ينـزل مجاهـد مـن المقابـر بعـد أن اعطـي إسـماعيل الطعـام وجلـس معـه ثلـث اليـوم وكان رحومـة يمـر عـلى رجالـه فى الجنايـن الـذى يأخذهـا حراسـة إلى حسـابه وهـو يمشـى وفى تقاطـع طريـق يلتقـى رحومـة ومجاهـد ولكـن لم يـراه مجاهـد بعـد أن سـبق رحومـة الـذى كان يخـرج مـن جنينـة فى تقاطـع الطريـق فينظـر رحومـة إلى ظهـر مجاهـد وهـو يمسـك جلبـاب قديـم فى يـده ويفكـر رحومـة بعـد أن تأكـد أن هـذا الشـاب هـو الـذى رأه بعـد أن نـزل مـن مقابـر برنشـت وهجـم عليهـا ولم يجـد إسـماعيل . وينظـر رحومـة إلى الطريـق الـذى يأتـى منـه مجاهـد يجـده متفـرع إلى طريقـين

فيهز رحومة رأسهويبتسم . ويمر وهو فرحان .؟

وفى المقابـل يجلـس إسـماعيل وهـو يركـز عـلى حائـط مقـبرة وكان بـاب المقـبرة مفتـوح وجانبـه غطـاء المقـبرة المصنـوع مـن الرخـام ومكتـوب عليـه هنـا يدفـن بيومـى دربالـة وهـو جـد إسـماعيل حتـى يعـرف الجميـع أن هـذه المقـبرة مشـغولة وليسـت فارغـة و يمسـك ورقـة وقلـم ويقـرأ مـا فيهـا عنـوان الورقـة (بدايـة النهايـة) . وفى اعـلي الورقـة اسـماء بالترتيـب الأول (عبـد الهـادى) الـذى قلـب حياتـه بعـد أن تشـاجر معـه . والثانـى (رحومـة) الـذى يطـاردة مـن جميـع النواحـى .والثالـث (دبـور) المقيـم هـو و رجالـه أمـام البيـت لقتلـه. ويضيـف إسـماعيل فى اخـر الورقـة الرابـع

(علوان) الذى كان يريد أن يقتله أو يسلمه فى المولد بعد أن رأي حقد وغل فى عيناه . ويهز إسماعيل رأسهويأخذ نفس عميق ويخرج من انفه وهو ينظر إلى السماء .؟

وفى اليوم التالى يقف رحومة ورجاله يراقبون الطريق فوجد فيصل ومسعد يحملان الطعام ويقتربان من المزرعة يدخل رحومة إلى المزرعة وخلفه دبور والرجال ويقول ..

– اسمع يا دبور ابعت حد من الرجالة يراقب العيال من بعيد بس من غير سلاح علشان ماحدش ياخد باله.

يفهم دبور الكلام ويقول إلى أحد رجاله ؟

– حامد

يخرج من بين رجاله شاب فى سن الخامسة والثلاثين من العمر طويل القامة نحيف الجسم يكسو الوجه الخشن شنب خفيف وشعر الراس اسمر يرتدى جلباب بنى

– اوامرك يا ريس

– انت ماحدش عارفك ولا شافك فى البلد قبل كدا

يسمع حامد الكلام ويهز رأسهوهو يحمل السلاح على كتفه ويُكمل دبور .

– سيب السلاح وتمشى ورا العيال دى تعرف هما ماشين فى أى اتجاه .

يسلم حامد السلاح إلى دبور ويخرج من باب المزرعة بعد أن ركب حمار واخذ فأس أمامه لكى لا يشك فيه أحد ويمشى خلف فيصل ومسعد وعندما دخل فيصل ومسعد من طريق المقابر دخل خلفهم حماد . ونظر فيصل إلى الخلف وجد حامد وهو يأتى نحوهم يقف فيصل حتى يمر حامد وعندما اقترب منهم حامد القي السلام عليهم .

- سلامو عليكم

رد فيصل ومسعد السلام وبعد أن مر حامد من امامهم ينظران يمين ويسار حتى لا يراهم أحد ودخلوا إلى المقابر .يقف حامد على بُعد خطوات ويلف الحمار لم يجد فيصل ومسعد خلفه يعود مسرعا فيري ظهر فيصل ومسعد وهم يصعدان إلى اعلي الجبل يهز رأسهويعود إلى رحومة ودبور ليخبرهم أن الشباب دخلوا المقابر ولم يدخلان إلى طريق العزبة المجاورة للمقابر .

ينتظر رحومة ودبور فى المزرعة وهم يظهر على وجوههم الفرحة والسرور بمكان إسماعيل القريب منهم ويقول رحومة .

- بقى الواد جاى جنب المزرعة اللى سرق منها ويقعد

يرد دبور وهو يقول:

- دا احسن مكان يامعلم رحومة .انك تداره جنب القسم زى ما بيقولوا .

- بس خلاص يبقى يورينى هيهرب ازاى المرة دى!!

وينتظر هو ورجاله عودة فيصل ومسعد من المقابر وبعد قليل يدخل عليهم أحد الرجال ويقول:

- العيال نازلة من الترب يامعلم.

ويأتى فيصل ومسعد وهما عائدان من المقابر ويمران على المزرعة المتواجد فيها رحومة ودبور، يجدا أحد الرجال يقف أمام الباب يلقيان السلام وبعد أن يبتعدا يخرج رحومة ودبور وخلفهما مايقرب من عشرين رجل يقول رحومة:

- ياللا بينا يارجاله

يذهبان نحو المقابر ..

يجلس إسماعيل بعد أن ذهب أبناء عمه وتركوه وحده يلاقى هذا المصير، فكان رحومة لا يريد أن يعلم أحد أنه عثر على إسماعيل لعلمه أن البيه من الممكن أن يقتله.

يقف رحومة وبصوت عالٍ ويقول لدبور:

- قابلنى يا دبور .. فتش الترب تربة تربة .. والله ووقعت يا إسماعيل ..

لم يلبث إسماعيل كثيرا عندما أحس بصوتٍ عالٍ يدخل المقابر، ذهب دبور من أمام رحومة هو ورجاله يطوفون الجبل وتم محاصرة الجبل بالكامل من الرجال الحاملين للسلاح،

ويدخل رحومة إلى المقابر فيصعد إلى أعلى القمة ويقول لرجاله :

- ياللا يارجاله شوفوا شغلكم .

فيدخل الرجال جميعاً المقابر ويبحثون بين الترب وداخل كل تربة مفتوح بابها، وبعد قليل يظهر القلق على رحومة والغضب وينزل يبحث معهم ويقترب من التربة المتواجد فيها إسماعيل ويأتى إليه دبور وينظر إسماعيل من داخل التربة إلى أقدام رحومة ودبور ويقول دبور:

- الواد حس بينا يامعلم رحومة ..

- مش معقول يلحق يخرج من الترب ولا حتى يدخل العزبة ..

- أنا باقول نفتح كل تربة جديدة يمكن يكونوا العيال اللى بتيجي له بيقفلوا عليه ..

يفكر رحومة ويرد بهدوء:

- مش للدرجة دى يا دبور مش كفاية دخلنا الترب بالسلاح وبندوس عليها بالجزم، البيه مش هينفع حد فينا بس قول للرجالة يدوروا كويس فى العيون الفاضية ..

- اللى تشوفه يا معلم رحومة .

يذهب دبور من أمام رحومة ويظل رحومة واقفا أمام تربة إسماعيل المتواجد فيها يستمع إلى ما يدور، لم يمر الكثير من الوقت ويفتش رحومة هو الآخر فى المقابر من الداخل، وبعد

obeikandi.com

أن تعب الجميع من البحث فى المقابر تجمع شباب ورجال العزبة والمزارع المجاورة وواقفوا حول المقابر ينظرون إلى ما يدور .. نظر رحومة وجد أناسا كثيرين حول المقابر يقول :

– دبور يالا بينا علشان الناس دى لو غضبت هيدفنونا فى الترب دى احنا ورجالتنا ويتلثم رحومة ودبور حتى لا يعرفهما أحد من المتواجدين حول المقابر، ونزلا ومرا بين الناس المستغربين والمتحدثين بأصوات عالية:

– دول بيدورا على تاجر مخدرات .

– مين عارف وممكن يكون بيسرقوا الأموات ويبيعوهم، هو الزمن دا بقى فيه حاجة عيب والا حرام!!

– مش معقول الحكومة هتدخل الترب من غير طبيب ولا بوكس دول قطاع طريق!

ظل إسماعيل فى المقبرة حتى الليل وعلم أن أبناء عمه مُراقبين من رحومة ورجاله فعليه أن يذهب إليهم حتى لا يتعرض لهم رحومة فى اليوم التالى، وعندما أحس أن المقابر أمان ولم يبق أحد فيها خرج وهو ينظر يمينا ويسارا وأعد نفسه وذهب وهو ملثم .. بحذر شديد يخرج من المقابر وهو يخطو خطوات سريعة فرأى رجالا فى وسط طريقه يحملون السلاح وقف وأدار نفسه سريعاً وعاد ولكن يقول أحد الرجال وهو ينظر إليه:

– مين اللى شافنا ورجع ده؟

يرد عليه صاحبه:

- تلاقيه حد من أهل العزبة شافنا خاف ورجع .

يأخذ إسماعيل طريقا غير الطريق العمومى المتعارف عليه بعد أن عرف أن رجال رحومة تُراقب الطريق وعند البلد وجد فضل يحمل السلاح الميرى ويمر فى البلد وهو يركب على حماره.. ينظر إسماعيل وعندما اقترب منه يقول فضل وهو يشهر السلاح نحوه :

- مين ؟

ينزع إسماعيل العمة من على وجهه ويرد:

- أنا ياعم ..

وفى لهفة واستغراب:

- إسماعيل! إيه اللى نزلك دي الوقت يا ابنى!

يقترب إسماعيل نحو فضل على الحمار .

- رحومة ورجالته عرفوا أنى هربان فى الجبل .

- ازاى؟

- أكيد راقب فيصل ومسعد النهارده وهمّ راجعين من عندى وعرفوا مكانى .

وفى قلق وحزن يرد فضل:

obeikandi.com

- ولا يهمك امشى ورايا.

ويمشى فضل وهو يركب على الحمار وخلفه إسماعيل وهو ملثم خوفاً أن يراه أحد من رجال رحومة وكان يعلم فضل أن لا يوجد أحد من رجال رحومة ولا دبور فى البلد بعد أن مر فيها بحكم عمله غفيراً .ودخل إسماعيل بيت فضل المتواجد وسط بيوت العائلة .

- تعالى يا إسماعيل . ادخل

يدخل إسماعيل وينزع العمامة من على رأسه ووجهه ويستقبله فيصل فى خوف وقلقل .

- خير يا إسماعيل .

- خير مافيش حاجة .. بس رحومة هجم على الجبل وانا فيه .

ينزل فضل ويقول

- تعالى يا إسماعيل .. روح يا فيصل هات مجاهد ومسعد؟

يخرج فيصل وهو فى قلق وحيرة فى اتجاه بيت مجاهد ومسعد المتواجد على بعد خطوات .

***

يجلس رحومة ودبور بعد أسبوع من الهجوم على الجبل فى المزرعة المتوجد جانب المقابر ورجاله تراقب الطريق ويقول .

obeikandl.com

- أسبوع دلوقتي يا معلم رحومة ولا حس ولا خبر . وكمان العيال اللى كانت بتجيب الأكل مابقيتش تيجى .

فى حيرة وتعب .

- أنا تعبت من موضوع الواد ده . أنا لو شوفته كنت ضربته عيار وخلصت منه . بس الود عامل زى قرموط السمك فى البحر . يبقى فى إيدك وانت متأكد أنك خلاص مسكته . وفجاء تلقيه هرب منك ونزل البحر تاني .دور أنت بقى عليه . أنا من يوم ما عمل عملته ماشفتوش ولا مرة . وانت ورجالك النبى حارسكم يبقى فى ايدك وماتقدرش تقتله أو تمسك .

- يا معلم رحومة . انت لسه بتقول الواد عامل زى قرموط السمك . هتجيب العيب عندى ليه بقى .

- ماكان فى ايدك وقولت قتلته وخلاص . نهايته . ارجع أنت ورجالتك على البلد وراقب العيال ولاد عمه تانى .من غير ماحد يحس بيكم . وانا هرميها على الحكومة . لما البيه يسألنى .

وفى اليوم التالى يجلس رحومة أمام مزرعة البيه على كنبة خشب وجانبه قلة مياه و السلاح الخاص به ومن بعيد يمر مسعد ويلقى السلام فيرد عليه رحومة ولم يريد أن ينظر إلى مسعد فهو أحد المارين الذى يمروا من شرق الترعة التى تفصل بين الطريق والمزارع فى الغرب وبعد قليل ينام رحومة على الكنبة وبجانبه السلاح فهو يعرف أنه لم يجرؤ أحد من الاقتراب من

بوابة المزرعة وهو غائب فما بالك وهو متوجد .فلا يهم إن كان مستيقظا أم نائماً و يظهر إسماعيل وفيصل ومسعد ومجاهد من بعيد يحملان كلاً منهما سلاح وتفرق كل واحد فى اتجاه وأتى إسماعيل جانب رحومة وسحب السلاح الخاص برحومة ولم يحس رحومة، يقف مسعد وفيصل شرق الترعة يحميان ظهر إسماعيل ومجاهد الذى يقف مع إسماعيل ويوجه إسماعيل السلاح نحو رحومة ويضع صباعه على الزناد وهو فى سرحان ونظرة انتقام من رحومة الذى طارده كثيراً وكان سبب فى جلوسه فى الجبل وسط الأموات يقول مجاهد بصوت منخفض:

– اعقل يا إسماعيل .

يعود إسماعيل من نظرة الانتقام الذى حملها ناحية رحومة وبسن السلاح من الأمام يغرز رحومة من جانبه ويقول.

– رحومة . فز قوم .

يفتح رحومة عيناه يجد إسماعيل يحمل سلاحه يستيقظ مفذوعاً من نومه يريد أن يهجم على إسماعيل فيقول له .

– اعقل كده . وماتتهورش .

ينظر رحومة إلى إسماعيل وهو يقول .

– ايه اخرسيت ولا إيه .مش بتدور عليا .بقلك كتير .ادينى جتلك برجلى يا عم .

يقف مجاهد بعيد عن رحومة وإسماعيل خطوات قليلة حتى إذا هجم رحومة على إسماعيل يطلق مجاهد عليه النار . نظر رحومة اليهم ويقول .

– إسماعيل . أنا مش عدوك يا ابنى .

– أمال بتدور عليّ ليه . وعايز منى إيه؟

– مش انا اللى عايز .دا جوجو بيه اللى عايزك .

– وانت بقى دراع جوجو بيه اللى مخلينى سايب بيتى وأهلى وهربان فى الجبل زى اللى قاتل قتيل . انت واللى زيك بتخلى واحد زى جوجو يتفرعن علينا بالسلاح اللى معاك وغدرك. يا اخى عيب على طولك تطارد واحد زيي . علشان وقف قدام البيه .

– اسمع بس يا إسماعيل . انا مافيش بينى وبينك أى مشاكل. مشكلتك مع البيه . هات السلاح واسمع .

فقام رحومة من على الدكة التى كان يجلس عليها ومد يده وفى عنف وغضب يشد إسماعيل اجزاء البدقية ويقول فى غضب .

– اقعد مكانك لاقتلك. ويبقى دفاع عن النفس

يعود رحومة ويجلس على الدكة تانى بعد أن رأي إسماعيل منفعل وسمع مجاهد وهو يقترب منه ويوجه السلاح ناحيته . رحومة كان من الممكن أن يهاجم إسماعيل لو كان وحيداً ولكن معه مجاهد فمن الممكن أن يطلق النار اذا هجم على إسماعيل. وفى خوف يقول .

obeikandl.com

– ماشى .ماشى يا إسماعيل بس اسمع . انا من النهارده ماليش دعوة بيك . ولا هدور عليك تانى بس هات السلاح وانا بقولك انت فى امان منى خلاص.

– شوفت بقى أن ممكن شوايه شباب يقتلوك فى غمضة عين . وفى الاخر هيقولوا إسماعيل قتل رحومة ابو عبد الجواد لوحده. وليه تموت على ايد واحد زيى وتروح هيبتك وسط الناس . ال مرة الى جايه مش هفكر اتكلم معاك زي دلوقتي لا .هقتلك وانت نايم.

ينظر رحومة إلى شرق الترعة ليري احداً يمر يلهى إسماعيل ومن معه ولكن لم يجد أحد ويكمل إسماعيل فى الكلام .

– ايه بتبوص على مين . عايز حد ينقذك منى . ماتخفش شرق الترعة متأمن زي غربها .

– نهايته .انا اديتك وعد ماليش دعوة بيك .

– وانا هاخد وعدك ده امان .اما السلاح تيجى تاخده من البلد انت ودبور .ومتنساش تجيب البطاقة بتاعتى من جوجو بيه . مش خلاص مشيت من الشغل يرجعلى بطاقتى بقى . سلام . على فكرة لو فكرت تيجى ورايا افتكر أن الى خلانى اجى هنا فى امان يقدر يحمينى لحد اما اروح بامان بردو .

يذهب إسماعيل ومجاهد من أمام رحومة وعلى بعد خطوات يقف رحومة من على الدكة ويفكر أن يهجم عليهم من الخلف

وهـو ينظـر شرق الترعـة يجـد فيصـل ومسـعد يوجهـان ناحيتـه السـلاح يجلـس مـرة اخـرة عـلى الدكـة ويفكـر ويهـز رأسهويمسـك القلـة المتواجـده بجـواره ويـشرب منهـا وبعـد أن انهـي الـشراب رماهـا عـلى الأرض لتنكسروينفـذ منهـا المـاء .؟

يعـود إسـماعيل مـع أبناءعمـه إلى البيـت ويخـبر فضـل بـما دار بينـه وبـين رحومـة فيأمـر فضـل أن يخـبروا جميـع رجـال وشـباب العائلـة بالحضـور غـدا للجلـوس مـع رحومـة فى بيـت المناسـبات الخـاص بالعائلـة وهـو بيـت فى وسـط العائلـة يجتمـع فيـه أبناءالعائلـة كل شـهر أو فى الافـراح والمعـادات والمياتـم مُـزود بمطبـخ وغرفتـين وحمـام وبرانـدة كبـيرة يحيطهـا كنـب مـن جميـع النواحـى . فيعـرف الجميـع بالخـبر بعـد أن مـر مسـعد ومجاهـد وفيصـل عـلى جميـع الرجـال . ؟

وفى اليـوم التـالى اتي رحومـة وكان يجلـس وسـط رجـال العائلـة ومعـه دبـور ويقـول .

– انـا جـاى النهـارده علشـان اوعدكـم انـى ماليـش أى دعـوة بابنكـم . واتعهـد انـا وجميـع رجالتـى أو رجالـة المعلـم دبـور . انهـا ماتلمسـش إسـماعيل بسـوء .

فـكان مـن ضمـن الجالسـين حجـاج عبـد الحـى فهـو مـن اعمـدة العائلـة فى ذلـك الوقـت .ينظـر اليـه .

– المشكلة مش معاك يارحومة . ولا مع دبور . احنا لو خايفين منك ولا من رجالتك . كنا مادخلنكش بيوتنا . وقعدنا معاك . وبعدين اللى خد منك السلاح إسماعيل إلى بتدور عليه انت ورجالتك من زمان .يعنى احنا مابنحطش روسنا فى الرمل زى النعام .لا. بنواجه ونموت مدام عارفين أن فى رجالة هتجيب حقي بعد ما اموت . واديك شايف بدل إسماعيل مية إسماعيل حاوليك . عمرنا ماسكتنا على حقنا ولا هنسكت طول ما فيه نفس فينا . انت غلطان . انك تتكرى على واحد زى إسماعيل . وتكرى رجاله يقتلوه . كل ده علشان وقف قدام البيه . طول عمرنا نسايب واهل وعمرنا مكرهناكم ولا كرهتونا .كل سنة نلاقيكم فى المولد نرحب بيكم وندخلكم بيوتنا . واحنا كمان بنيجى عندكم (مولد الشهداء) و ندخل بيتكم وناكل معاكم ونشرب .ليه بقى وعشان ايه. اعادى جارى واخويا وصاحبى علشان شوية فلوس . نخلى البلدين يكرهو بعض علشان البيه اللى محدش عارف اصله ايه وفصله .؟

(الشهداء هى مولد فى دهشور كل عام بعد مولد الفرغل بأسبوع .؟

أنا منى واحد ما اعرفش الموضوع إلا من قريب ..بس لو حد قال لى انا كنت جبت إسماعيل وجيت لك البيت أو اروح للبيه ويبقى يعرف يعمل فيه حاجة هو والا اللى وراه .

يبتسم رحومة قليلاً :

– انت عارف ياحاج الواحد خدام لقمة العيش .

– كلنا خدامين لقمة العيش .بس مش بالقتل يارحومة .

وبعدين البيه ليه أوضة فى المركز . يعنى مافيش داعى تلف البلد بالسلاح على إسماعيل انت ودبور .

– نهايته يا عمى حجاج . انا بتاسف ليكم . واوعدكم كمان مرة انى ماليش دخل بإسماعيل . يروح يجى .مافيش حد هيلمسوا .وزى ما بتقول احنا نسايب واهل .؟

وبعد أن تأسف رحومة هو ودبور واعطى فضل السلاح لدبور واخذ منه بطاقة إسماعيل بعد أن اسمع تهديد شديد اللهجة اذا عاد للبحث عن إسماعيل وتأتى الرجال بالاكل وياكل رحومة ودبور وإسماعيل فى طبق واحد وسط لمة من رجال وشباب العائلة ومر هذا اليوم بسلام ؟

عاد إسماعيل إلى البيت فى ذلك اليوم وكانت امه فى انتظاره فهو لم يعود إلى البيت خوفاً ليكون دبور أو رحومة مترابصين به عند البيت ولكن كان يجلس فى بيوت العائلة وفى لهفة يفتح إسماعيل باب البيت فيجد امه في انتظاره وبصوت عالى .

– إسماعيل .

يجرى إسماعيل على امه ويحضنها وهى تبكى وتملئ فؤادها بأخذ إسماعيل فى حضنها وبعد أن فرغ من حضن امه ويحضن اخيه جمال واخته . فتجلس امه منهاره عليه من البكاء لرؤيه ابنها البكر . فجلس جانبها إسماعيل وهى تبكى يحب على يدها ويحضنها . وفى هذا اليوم جلس إسماعيل مع ابوه وامه واخوته على الطبلية على العشاء الذى احضرت امه خصيصاً له .

وبعد أن فرغ من العشاء يدخل غرفته لينام بها أول مرة بعد أن تشاجر مع البيه . يجلس إسماعيل على السرير ويفرد ظهره وياخذ نفس عميق ويخرج وهو يقول .

- يااااه . اخيرا هنام فى البيت تانى .

ولم يغمض إسماعيل عينيه فى ذلك اليوم إلا فى منتصف الليل فكان مستغرب من ما حدث . ولم يستطع أن ينام فهو على فراشه الذى غاب عنه طويل و تعود على النوم فى الرمال وسط الترب بين اربعة جدران ضيقه ويعيد الذكريات والتفكير مراراً وتكراراً فهو اليوم تخلص من عائق كبير يسمى رحومة ودبور . فيخرج الورقة من جيبه ويمسك القلم ويضع علامة اكس أمام اسم رحومة ودبور ويبقى عبد الهادى وعلوان . ونام إسماعيل فى هذه الليلة وقام فى الصباح يفكر هل انتهي من ذلك الأمر ذهب إلى عمه فضل وجلس معه

- تعالا يا إسماعيل .

دخل إسماعيل وسلم على عمه وجلس معه . بعد أن عاد فضل من السرايا وعلم أن النقطة والحكومة اخذت خبر بحضور رحومة بالامس.

- في ناس من البلد اخبرت الحكومة انك اتصالحت مع رحومة .

تتغير ملامح إسماعيل .

- لحقت .

- أن كان واحد بيحبك عشرة بيكرهوك . بس ماتخفش

الحكوم مقدور عليها . الخطر كله كان رحومة ودبور . انما الحكومة والمركز كبيرهم هيسجنوك هيضربوك بالقلم . بس عمرهم ماهيقتولك ولا هيسلموك للبيه. بس خلينا نشوف الدنيا هتعمل إيه . ماتخفش انزل لف فى البلد براحتك عمر النقطة ماهجمت على البلد إلا لما نكون موجودين فى السرايا .

بهذه الكلمة اطمأن إسماعيل من ناحيه الحكومة وكان يريد أن ينسى علوان وعبد الهادى ويعيش حياة هادئه واخذ العشرين جنيه من عمه فضل واعطاها إلى والده ليخطب اليه هنية . البنت التى انتظرته كثيراً ولم تُمل من الانتظار وبعد ايام قليلة من الصلح مع رحومة اجتمع الأهل والأحباب بعد صلاة العشاء ليقرؤوا فاتحة إسماعيل على هنية فى بيت على ابو همام. فكان إسماعيل يرتدى جلبابه الجديد هو و أبناءعمه الموجودين

حوله. يدخل إسماعيل هو و أبناءعمه وأهله على الموجودين من أهل هنية .ويقول أبو هنية بعد أن اجتمع الجميع :

- الفاتحة يارجال.

كلمة انتظرها إسماعيل كثيراً وفعل لأجلها المستحيل ولكن نالها اليوم . يقرأ الجميع الفاتحة وبعدها يقف أبناءعمومته ليهنئوا إسماعيل ويحضنوه .وفى الداخل تجلس هنية بين ام إسماعيل واخته ونساء العائلة وقد تزينت من اجل هذا اليوم فاليوم هى مخطوبة رسمى إلى إسماعيل الذى تمنته من أول نظره فى المولد . وبعد أن سمعت قول ابوها بقراءة الفاتحة رفعت يدها وقرأت هى الأخرى وبعد الانتهاء من الفاتحة تأخذها ام إسماعيل فى حضنها وتهنئها. فاليوم هو يوم عيد عند أحمد وزوجته لقراءه فاتحة الابن البكر.....

مرت الأيام ولم يكن في بال إسماعيل شيئاً غير أن يجهز نفسه للعمل المستمر ليتزوج هنية بعد عام وفى يوم كان ينام إسماعيل على فراشه فيى غرفته وفجاء يجد بندقية فى وجه. يفتح إسماعيل عيناه قليل وينظر إلى البدقية وهو يظن انه فى كبوس ينظر إلى الجدران ليتأكد انه موجود فى غرفته فيجد علوان بوجهه الخشن المخيف يقول له:

- ايه مش مصدق انى همسكك . سيبتك تتصالح مع رحومة وتمشي فى البلد بي امان وتقرأ الفاتحة وتنام وتحط فى بطنك بطيخه.

لحد اما وقعت .ايه رايك فى الصبر إلى انا فيه .كان لزم استنا وانا بعد الساعات والأيام لحد اما فكرة ادخل فى الوقت المناسب. قوم .قوم . يا حبيبى .

تتغير ملامح إسماعيل كيف دخل علوان إلى الغرفة دون أن يسمع أى صوت ولا طرق على الباب . يقف إسماعيل ويمشى أمام علوان ويخرج من الغرفة يجد عساكر تضم ابوه وامه واخوته جانب الحائط ومغمين اعينهم ومكمكمين افواههم حتى لا ينادى أحد على إسماعيل. يارا إسماعيل المنظر المريب الذي وصل اليه ويضع أحد العساكر الكلابشات فى يد إسماعيل ويخرج من البيت وخلفه علوان ويتملك علوان ويرفع يده ويضرب إسماعيل على قفاه . وهو يقول .

- فين ولاد عمك. يا ابن الكلب .

وقع إسماعيل على الأرض من قوة القلم واوقفه علوان ليركب البوكس . وتجمعت الناس أمام الباب وبعد أن ركب إسماعيل البوكس ويأتى فضل من بعيد مسرعاً وينظر إلى إسماعيل وهو داخل البوكس من الخلف ويحزن على ذلك فكان علوان هو المدبر إلى هذا الهجوم وقال للمأمور علينا أن نخرج من المركز دون اعطاء العمدة ولا أحد من الغفر أى خبر حتى لا يعلم إسماعيل بقدومنا اليه فيهرب مثل العادة فكانت الخطة ناجحة من علوان بعد أن هجم من سطوح أحد الجيران ولم

يطرق باب أحمد ابو إسماعيل .وينظر علوان إلى فضل ويبتسم وهو يقول بصوت عالى .

– إسماعيل اهو يا فضل . اتقبض عليه .اطمن وطمن اهل البلد بقى .مش كنت عايز يتقبض عليه .

ويذهب البوكس من أمام بيت أحمد ويدخل فضل ليجد أحمد وام إسماعيل واخوته فينظر اليهم بحزن شديد.

علم اهل البلد أن إسماعيل تم القبض عليه فرح من فرح وحزن من حزن فمن المؤكد أن يجد من الفرحين للقبض عليه. وذهب فضل إلى العمدة وتحدث معه وكانت نهاية الحديث بالشجار ذهب فضل من أمام العمدة بعد أن عاتبه ليري ماذا يفعل مع إسماعيل فى محبسه. يدخل إسماعيل المركز وكان من الضرورى أن يحول من النقطة التابعة للبلد ولكن اخذه علوان على المركز مثلما أمر المأمور ووقف إسماعيل أمام مكتب المأمور ومعه علوان وكان علوان لا يقف دون أن يضربه على جسمه بكامل قوته كلما تذكر ما دار بينهما فى المولد .

– بقى تقولى اقتلك بالبدقية بتاعتك . ماشى وحياة امك لتخرج من هنا مجنون . هو انا هسيبك كدا بالساهل .

ينظر إسماعيل اليه نظارات غضب وعلامات الضرب على وجهه .يفتح باب المكتب ويدخل إسماعيل على المأمور الذى قال ضعه فى السجن حتى يأتى جوجو بيه يري ويعلم انه تم

القبض عليه . ويأخذ علوان ويخرج. وفى المقابل يقوم شجار على محطة المركز بين البائعين واحد الشباب ولكن البائعين يتكاثرون علي الشاب فيضربوه فيعلم اهله ويأتو بالاسلحة والسكاكين لينقذوا ابنهم الشاب من ايدي البائعين وفى نفس لحظة خروج إسماعيل مع علوان يدخلان كلاً من المتشاجرين القسم ويعم الصرخ والضرب فيفكر إسماعيل قليلاً بعد ما. راء المركز اتملئ عن اخره من العساكر والمتشجرين .ولم يلبس إسماعيل الكثير فى التفكير فركل علوان من قدمه فيقع على الأرض ويهرب إسماعيل من بين الناس وعندما قام علوان من على الأرض لم يجد إسماعيل حوله يخرج من القسم ينظر يمين ويسار لم يجد له اثر .. يصعد إسماعيل عمارة خلف القسم ليجلس بها قليلا حتى تهدأ الامور فى الخارج . وصعد على سطح العمارة وجلس حتى الليل وخرج منها على الطريق وهو يخبئ الكلابشات بقطعة قماش التقاها على سطح العمارة . وركب أحد العربيات حتى وصل إلى مزلقان البلد ونزل فسأل حارس البلوك عن دخول بوكس إلى القرية فقال له لم يأت أى بوكس بعد أن خرج اليوم. فدخل القرية وهو يركب جميع الخطوات وقف عند أحد البيوت فكان صاحبها يعمل فى صنع الاحذية فطرق إسماعيل الباب بقوة فرد ذلك الرجل .

– مين .

– افتح .

– انت مين .

– افتح انا إسماعيل .

لم يـرد الرجـل عليـه بعـد أن عـرف أن إسـماعيل المطلـوب مـن الحكومـة فيعيـد إسـماعيل ويقـول .

– افتح بدل ماكسر الباب .

فطرق إسماعيل الباب بكتفه .

علـم الرجـل أن إسـماعيل لـن يذهب ومـن الممكن أن يدخـل يقتله ففتـح لـه ودخل إسـماعيل فيخـرج الرجل مـن البيت ينظر يمين ويسـار ليتأكـد أن ليـس هنـاك أحـد خلـف إسـماعيل .ويدخل ويغلـق الباب .

– ايه عايز ايه يا إسماعيل السعادى .

– اكسر الحديد ده .

نظر الرجل إلى الحديد وفى خوف .

– انـت كـدا هتودينـى فى داهيـة .لـو الحكومـة عرفـت انـى فكيـت الكلابشـات مـن ايـدك .

– ولا داهية ولا حاجة. اكسره وانا هاخده معايا . ماتخفش .

ينظـر الرجـل إلى الحديـد ولإسـماعيل فى خـوف ويدخـل ليأتـى بالعـدة ويضـع الكلابشـات عـلى حديـدة خاصـة بعملـه ويطـرق عليـه مـرة واحـدة بقـوة فينفصـل الحديـد عـن بعضـه ويفـك واحـده

تلو الأخرى، ويخرج إسماعيل من البيت وهو يحمل الحديد فى يده وذهب إلى بيوت العائلة وطرق الباب على مجاهد فى ذلك الوقت المتأخر من الليل، ففتح مجاهد واستقبله وخرج من البيت يراقب الشوارع ليعرف أنه أمان ويدخل ويغلق الباب. وجلس إسماعيل ومجاهد على سطح البيت خوفا من أن تأتى حملة من المركز أو النقطة فيهرب من السطح . وفى الصباح علم الجميع أن إسماعيل هرب من الحكومة بعد أن أتت الحكومة وبحثت عنه فكان العمدة وضابط النقطة في حالة حزن شديد مما حدث فى السابق، أن تأتى حملة على البلد ولم يخبرهم أحد.. وفى السرايا يقف مأمور المركز ويقول للعمدة :

– اسمع يا عمدة، الواد طول ماهو مادخلش المركز عادى انما يدخل ويهرب دا بقى اللى مش عادى ومش هينفع نعديها على خير.

– والله يا سعادة الباشا، أنا لو مسكته هاسلمه بس حضرتك بتقول هرب من المركز مش هيعرف يهرب منى انا والكام غفير اللى معايا!

فكان الحوار بين العمدة والمأمور فى شدة من الكلام والغلط ولكن بعدها ذهب المأمور مع الحملة التى أتى بها ليفتش البلد، وبعدما فتش جميع البيوت لم يجد إسماعيل، فذهب وترك المسئولية على النقطة التابعة للبلد؟

ظل إسماعيل يفكر فى ذلك الأمر فكان يجلس وينام فى بيته بعد أن تصالح مع رحومة قائلا لنفسه «ولكن هناك محضر باسمى فى المركز من البيه فكيف أسحب هذا المحضر أو ينسى البيه؟ وإن نسيه فكيف للحكومة أن تتركنى وأنا هارب من يدها؟» . فرح فضل أن إسماعيل هرب من يد علوان فهو يعلم أن علوان بينه وبين إسماعيل دم ولا يرحمه داخل السجن . وعندما التقى بعلوان فى السرايا عند العمدة ولكن لم يكن العمدة متواجد بها .دخل عليه وهو يمشى خطوات قصيرة ويهز رأسه ويغنى بصوتٍ عالٍ ليستفز علوان وعندما اقترب منه يقول:

– إيه اللى مخليك نازل البلد تانى يا علوان؟ مش خلاص قبضت على إسماعيل.

تغيرت ملامح علوان فى وجود فضل وفى حزن من داخله وفرح وابتسامة صفراء على وجهه:

– زى ما قبضت عليه مرة هاعرف اقبض عليه ألف مرة

– لا الغلطة مع إسماعيل بتبقى مرة واحدة، التانية يا إما تموته يا إما يموتك .. على العموم انا مالى بس لو عرفت تمسكه تانى عرفنى علشان انا كنت جايب له عيش وحلاوة فى المركز قالوا لى دا هرب من إيد علوان .

تتغير ملامح علوان ويحمر وجهه ويتركه فضل ويذهب من السرايا، وكانت نظرات علوان إلى فضل من الخلف تبوح لو كان

يملك علوان القدرة لضرب عيار على فضل وقتله ولكنه لا يملك ذلك الأمر؟

وفى يوم ما بعد أن مر أسبوع على هروب إسماعيل من المركز وعلم الجميع فى البلد بذلك وهدأت الأمور، فكان كل يومين تأتى حملة من النقطة على البلد للقبض على إسماعيل ولا يجدوه . وفى يوم بعد أن تعشى إسماعيل مع والده وأمه وإخوته يخرج والده ويفرش الحصيرة على حافه القناية المتواجده أمام الباب تحت الشجرة وكان عندما يجلس أمام الباب يغلق اللمبة المتواجدة أمام الباب حتى لا يراه أحد من بعيد فيجلس إسماعيل وظهره للقنايه بجانب أمه ووالده وكان يحضر أحمد الشاى بعد أن تعشى مع أبنائه، ومن بعيد يلمح إسماعيل نور البوكس يدخل إلى الشارع فلم يفكر إسماعيل كثيراً، أسقط نفسه فى القناية واختبأ تحت النجيلة والباغ المتواجد فى تلك القناية.. ينزل الضابط من السيارة يجد أحمد وأولاده يجلسون تحت الشجرة، يشير إلى العساكر وهو لا يريد أن يخرج صوتاً حتى إذا كان إسماعيل فى الداخل فلا يعلم بوجوده . كان معهم فضل فى ذلك التفتيش، ويقف الضابط أمام أحمد ويرفع عليهم الطبنجة ويشير إليهم حتى لا يقوم أحد من مكانه ولم يعط أحمد لهم أى اهتمام ولم يتحرك من مجلسه هو أو أحد من أولاده أو زوجته ولكن عندما انقلب إسماعيل إلى الخلف ضم أحمد نفسه مكانه حتى لا يراه أحد وبعد قليل خرج فضل مع العساكر وقالوا :

– مش موجود يا افندم.

ينظر الضابط إليهم ويهز راسه ويركب البوكس ويعود البوكس بظهره حتى يخرج من الشارع ويمشى فضل على قدمه خلفهم نحو السرايا ولم يخرج إسماعيل من القناية حتى اتي اليه فضل واخبر أن الحكومة ذهبت من البلد .وجلس شرب مع أحمد الشاى وذهب وفى ذلك اليوم يجلس إسماعيل مع نفسه فى الغرفة وينظر إلى السقف ويفكر ماذا افعل فهل يستمر الامر طويلاً ام اقوم بتسليم نفسى ويخرج من جيبه الورقة وينظر اليها فيجد اسم علوان وعبد الهادى ويهز رأسه. فعليه أن يفعل شيئا لينهى ذلك المشوار الصعب، وقرر أن يبدأ من الغد، أن يراقب هذين الشخصين وفى اليوم التالى اجتمع ب أبناءعمه واتفق على خطة لإنهاء ذلك المشوار الصعب، وبدأ بمراقبة علوان وظل مسعد ومجاهد وفيصل يتناولون مراقبة علوان ولم يتركوه إلا للنوم فقط، واجتمع الأربعة وعرفوا كيفية الانتهاء منه، وبعد مراقبتهم له علموا أنه ينام فى غرفة حراسة إحدى الفيلل على النيل قرب القرية، وفى أول ضوء للنهار عاد علوان من الغفرة فى الليل ليستريح فى تلك الغرفة، وفتح باب الفيلا المهجورة من السكن فهى فيلا لأحد البهوات الذى يأتى إليها يومين كل شهر ولكن علوان يأخذها حراسة مثلها مثل أعمال أخرى له جانب الغفرة ودخل من باب الفيلا واغلقه خلفه وفتح باب الغرفة ودخل ليجد قولات الماء الملفوفة بقماشة صوف حتى تحفظ

الماء وعليها غطاء صغير من النحاس فيمسك علوان الغطاء ويرفع القلة على فمه ويشرب منها وهو لا يعلم أن في ذلك الماء منوم احضره مجاهد فى الليل مع صانع اقفال ليفتح الابواب ويدخل دون أن يعرف أحد ويضع المنوم له فى الماء المتواجد فى الغرفة وبعد أن عرف الرجل مقاس القفل اعطى إلى مجاهد نسخة من باب الفيلا والغرفة وبعد قليل يقترب إسماعيل من باب الفيلا ليسمع أن كان علوان قد نام ام لا ولم يسمع أى صوت فى الداخل فالغرفة خلف باب الفيلا فيفتح إسماعيل باب الفيلا ويدخل ويضع اذنه على باب الغرفة لم يسمع اى صوت فيفتح الباب المفتوح نصف فتحه ليجد علوان نائم على الأرض وجانبه السلاح الميرى يقترب إسماعيل فى حذر وهو يمشى على اطراف صوابعه ويمسك السلاح ويسحبه من جانب علوان وبعد أن امتلك إسماعيل السلاح نظر اليه وهو نائم وفى لحظة ما كان إسماعيل يفكر فى الانتقام منه بالقتل ولكن فكر قبل أن يبدأ حياته بالدم فهو مثل باقى الشباب يحلم بالهدوء والبيت الامن من الدم فيعرف انه يجلس ويخرج ويعود فى امان ولكن اذا قتل علوان ستنتهى حياته . ويعود إلى عقله ويخرج من الغرفة بهدوء ويغلق باب الفيلا خلفه ويمشى مجاهد ومسعد وفيصل معه وهو يبتسم اليهم ويمسك البندقية الميرى الخاصة بعلوان وبعد أن ركب إسماعيل مركب وذهب إلى البر الشرقى هو ومجاهد ليلتقيان برجل يجلس على نهر النيل وعندما رأهم قام ورحب

بمجاهد وإسماعيل واستقبلهم وجلوسوا معه وأخرج إسماعيل البندقية من لفة كانت معه فى المركب يمسك الرجل البندقية ويبتسم ويهز رأسه فرحاً بها ويخرج مبلغ من المال ويعطيه إلى إسماعيل ويغادر إسماعيل ومجاهد من أمام الرجل ليركبوا المركب ويعودوا إلى البلد وفى ذلك اليوم تأتى حملة إلى البلد لتبحث على السلاح وعلى إسماعيل فلم يكن إسماعيل فى البلد لمدة أسبوع .فأشاعت البلد أن إسماعيل قد سرق بندقية علوان وجارى البحث عنه ..

***

يجلس عبد الهادى مع أحمد السواق المسئول عن بيع المحصول فى السوق ليتقاسم ما سرقوه من المزرعة فى بيت عبد الهادى ويقول أحمد وهو يعطى إلى عبد الهادى نقوداً.

- كده دول حسابك .

يمسك عبد الهادى الفلوس ويعدها فيقول وهو ينظر اليه .

- ايه دول؟

- ايه مش عاجبينك والا إيه ؟

- دول تلت الفلوس .

- ايوه امال عايز ايه ؟

- أحمد احنا عارفين أن الموضوع ده بالنص .

openkanal.com

يبتسم أحمد بسخرية ويقول .

– نص إيه وربع إيه ..انت تحمد ربنا انى بادي لك التلت . انا اللى باحمل على عربيتى وببيع فى السوق . انت يادوب بتعد العدايات بس . يعنى ولا بتسوق ولا بتبيع .

ينظر اليه عبد الهادى فى غضب ويقول وهو يترك اليه الفلوس .

– بس افتكر أن دا ماكنش اتفقنا .

– والله دول اللى هاعرف اديهم لك كل مرة موافق ماشى مش موافق خلاص كلها أسبوع والموسم يخلص .

– بس انت كدا ضيعت عليا الموسم يا أحمد .

– والله انت مش مشغلنى .دا البيه اللى جايبنى اشتغل عنده . ولو عايز تقوله اننا بنسرق فى المحصول قوله .اهو انت هتتقطع رجلك طول العمرمن المزرعة . وتقعد فى البيت زى النسوان ولا هتلم عيال ولا هتجمع لحد محصول . انما انا لو البيه مشانى بعربيتى اشتغل فى أى مكان.

ينظر اليه فى غدر ويأس من هذا الكلام ويكمل أحمد كلامة وهو ينظر إلى الفلوس .

– قولت إيه .هتاخد الفلوس ولا اخدهم اخليهم جنب اخواتهم .

obeikandi.com

– انت اللى ابتديت بالغدر .

– بس ماتقولش غدر والكلام الكبيرده . بصراحة انت كفاية عليك مكسب العيال وشغلك فى المزرعة. انما انا شغال بالعربية وبشيل وابيع واحط وانت عايز تاخد نص الفلوس على الجاهز. ليه. ايوه احنا بناخدهم من ورا البيه. بس انت لازم تفهم. انا راجل بحط بنزين وزيت وتشحيم. انما انت من الصبح للمغرب ماسك عصايه وبتلف ورا العيال والبنات . أحمد ربنا على الفلوس اللى هتاخدها منى .

يبتسم عبد الهادى من كلام أحمد ويقول .

– ماشى يا اسطى أحمد تحت امرك هاخد الفلوس .ويمد عبد الهادى يده إلى الفلوس وياخدها وينظر إلى أحمد ويهز رأسه.؟

يقف علوان أمام المأمور وهو يضع رأسه فى الأرض ويستمع إلى القرار من المأمور .

– انت تم رفدك من الخدمة وتقديمك للمحكمة لضياع سلاحك الميرى بعد الخدمة .

– يا فندم انا كنت فى الخدمة .

– علوان انا باعتبرك من أفضل الغفر الموجودين .بس بردو انا عارف انك شغال شغل تانى وماسك غفرة مزارع وفيلل بس دي مش مشكلتى انا مشكلتى أن السلاح الميرى ضاع منك

أو اتسرق أو وقع . المهم انه مش موجود وكان المفروض انك تسلمه من أسبوع وادينا اهو لغايه دلوقتي بندور عليه فى كل مكان مش باين له اثر . للأسف مش هاقدر اسعدك المرة دى يا علوان . لحد اما نشوف المحكمة هتعمل إيه معاك .اتفضل روح دلوقتي لما هاعوزك هابعت لك تيجى تسلم نفسك وربنا يسهل وتبقى العقوبة خفيفة عليك ..

يهز علوان رأسهوينصرف من أمام المأمور فى حزن شديد . ؟

علم فضل بما دار مع علوان وفرح فرحاً شديداً فى ذلك الوقت من ما أصيب به علوان وفى يوم بعد أن صلى أحمد العشاء وعاد لينام وكان إسماعيل يجلس فى الغرفة على سريره ليستعد للنوم ويخرج الورقة من تحت الماخدة وينظر اليها ويضع علامة اكس أمام علوان ويهز رأسهوهو يقرأ اسم عبد الهادى وفجأه وهو ينظر الي الورقة يسمع صوت الباب يطرق بقوة ينزل من على السريرمسرعاً بعد أن سمع صوت عمه فضل وهو يطرق الباب بقوة ويقول افتح يا أحمد . علم إسماعيل أن عمه معه حمله فنظر شمال ويمين وينزل تحت السرير ويُغطى نفسه ويفتح أحمد ابو إسماعيل الباب فى لهفة وهو يقول .

– فيه إيه يافضل؟

لم يرد عليه فضل ولكن يوسع الطريق إلى الضابط ويقول .

– اتفضل يا باشا . الباشا جاى يدور على إسماعيل .

ينظر الضابط إلى أحمد ويقول إلى فضل والعساكر .

– ابدأ البحث .

ويذهب فضل نحو غرفة إسماعيل فهو كان يعلم جيداً اين يبحث حتى لا يدخل أحد معه الغرفة عندما يقول الضابط ابدأ فكان فضل لا يدخل إلا غرفة إسماعيل . ويبدأ فضل بالتفتيش فى الدولاب ويعمل صوت فى حلل متواجدة فى الغرفة ليخبر الضابط اننى ابحث وينزل فضل تحت السرير ليجد إسماعيل ينظر اليه ويبتسم .

– ايه تسلم نفسك .

كلمة قالها فضل لعلمه أن علوان تم فصله من الميرى فمن الممكن أن تحل باقى المشاكل مع البيه حتى لو تم دفع الاموال اليه . ولكن كان إسماعيل يعرف أن البيه له سلطة فى المركز كبيرة بعد أن سمع المأمور يقول خليه فى الحجز لحد البيه ما يجى يشوفه. وقتها علم أن من الممكن أن المامور يسلمه إلى البيه مجاملة .

– لو سلمت نفسى هيموتونى يا عم .

يهز فضل رأسه بنعم وقام من على الأرض وخرج اعطي التحية إلى الضابط وقال .

– مش موجود يا بيه .

obeikandl.com

ونزلت العساكر من فوق ومن الداخل وقالت مش موجود يا فندم . خرج الضابط مثل كل مرة فهو يعلم أن ما يبحث عليه شاب لم يقتل ولم يفعل جريمة ولكن يأتى امر من المأمور ليرضى البيه فكان الضابط يعلم أن قضية إسماعيل مجاملة إلى البيه . ولكن لا يجرؤ أحد على رفض الاوامر من الداخلية فان كنت مجاملات نجامل وان لم تكن مجاملات علينا أن ننتظر المجرم ليسلم نفسه . كان يمشى الامور روتينى وليس عليه شئ أن يعود إلى النقطة ويرفع سماعة التيلفون الخاص ويقول لم يتم القبض عليه . امر سهل عنده ولكن يحزن انه يعمل لحساب البيه الذى ليس له سلطة عليه.

اجتمع الاربعة فى بيت مجاهد واتفقوا على الانتقام من عبد الهادى وتم التخطيط من قبل إسماعيل ورسم كيف يراقبان المزرعة .فكان مسعد يرتدى اللبس البدوى ويمر من أمام المزرعة وينظر إلى الداخل وكان مجاهد يراقب بيت عبد الهادى وفيصل يراقب بيت أحمد السواق وظلو أسبوع على ذلك وتقدم مسعد إلى باب المزرعة ودخل اليها ليجد عبد الهادى فى مقابلته ويقول

- سلامو عليكم .

يرد عبد الهادى السلم وهو يمسك فى يده العصاه ويستغرب من دخول أحد مثل مسعد لم يراه من قبل .

– وعليكم السلام ورحمة الله . اؤمر ياشيخ العرب .

– الامر لله . انت عبد الهادى .

– ايوه خير . كنت عايز عديتين مانجة منك وبالفلوس اللى تقول عليها .

ينظر عبد الهادى يمين ويسار ويقول وهو يأخذ مسعد بعيد عن البوابة .فعدما يدخل أحد غريب المزرعة ويسئل على عبد الهادى فمن المؤكد انه سيسرق محصول من المزرعة . فكان عبد الهادى يراقب البوابة بين الظهر والعصر .لنوم البيه بينهما فى الاستراحة

– طب تعالا يا شيخ العرب .

يمشى مسعد معه ويخرجان من بوابة المزرعة ويقف عبد الهادى ويقول .

– اسمع كمان نص ساعة تيجى هناك هتلاقى العدايات هناك. ويشاور عبد الهادى إلى مكان بعيد عن المزرعة تحت خص صغير وهو خاص بتسليم أى زرع من عبد الهادى البايع إلى المشترى .

يبتسم مسعد ويشكر ويخرج الفلوس من جيبه ويعطى إلى عبد الهادى وينظر إلى الفلوس ويقول .

– بس دا كتير يا شيخ العرب .

– مش كتير عليك . ولو المانجة عجبتنى هتلاقينى انا وحبايبى بنتعامل معاك . نص ساعة وهاجى احملهم ماشى يا عبده .

– ماشى يا شيخ العرب .

ويمشى مسعد من أمام عبد الهادى وينظر عبد الهادى

يمين ويسار ليراقب أن كان أحد رأه ويدخل من باب المزرعة مسرعاً .ويمر ذلك اليوم ويحمل مسعد عدايات المانجة ويذهب بعد أن اخرجها عبد الهادى من غير علم أحد فى المزرعة وبعد أن جهز إسماعيل هو و أبناءعمه وعلم أن البيه ليس موجود فى المزرعة ولا رحومة أيضاً ويدخل أحد الرجال المستأجرين من قبل إسماعيل وهو ينظر يمين ويسار وينادى بصوت عإلى .

– يا عبد الهادى .

ظل ينادى حتى خرج عليه عبد الهادى من وسط الأشجار– مين ؟

رجل لم يره عبد الهادى من قبل ولم يعرفه .

– انت عبد الهادى .

– ايوه . خير يا شيخ .

– خير أن شاء الله . فاكر اخويا اللى خد منك المانجة من كام يوم .

نظر عبد الهادى يمين ويسار يراقب الطريق بعد أن عرف أن ذلك الرجل يريد محصول من المزرعة

– ايوه . بس تعالا نتكلم بعيد شويه .

واخذه عبد الهادى بعيد عن الأشجار ووقفوا عند الاستراحة وهو يعرف أن البيه غير موجود فى المزرعة وحتي يكشف اكبر قدر من الطريق ويعلم أن أحدا لم يره واتفق ذلك الرجل مع عبد الهادى على أن يأخذ منه عشرة عدايات مانجة كل أسبوع وليس مانجة فقط أى محصول يخرج من المزرعة انا هتعامل معك فى ذلك المحصول فرح عبد الهادى بالرجل الذى سيمنع أحمد السواق فى التحكم فى الحساب بينهما وسيكون هو المالك للبيع واتفق عبد الهادى على الميعاد الذى ستخرج فيه العربية محملة من المزرعة وسيكون هو معها ويقفوا فى مكان محدد لينزلوا العدايات من العربية ويأخذ باقي الحساب . وذهب الرجل من المزرعة بعد أن اعطي مبلغ إلى عبد الهادى عربون . بدأ عبد الهادى يحضر نفسه للذهاب مع أحمد السواق إلى السوق وبعد يومين يُحمل عبد الهادى العربية بالمانجة ومعه أحمد السواق ويقول أحمد .زود العدايات اللى هتنزل فى الطريق .ويكون رد عبد الهادى .اكيد. وتقف العربية أمام الاستراحة ليدخل عبد الهادى إلى البية ليخبره بعدد العدايات الذى ستُحملها العربية ويخرج يركب فى العربية جانب أحمد قبل غروب الشمس ويقول أحمد .

– انت عارف الراجل ولا إيه .

– أيوه ياعم بس اقف فى المكان اللى هقولك عليه .

ويمشى أحمد بعيد عن المزرعة ويريد أن يأخذ الطريق المعتاد يقول له عبد الهادى .

– لا ادخل من هنا .

ينظر اليه أحمد فى استغراب ويقول.

– ازاى ياعم دا طريق مكسر وكله مطبات . وفيه قطاع طرق .

– ماتخاش بس هو الراجل مستنينا هناك .

ينظر إليه أحمد وفى غضب وخوف .

– ماشى يا عبده لما نشوف آخرتها معاك .

ويمشى ما يقرب من نصف ساعة فى طريق مظلم بين اشجار فكان عبد الهادى لا يفكر فى أى شئ الانه سيملك المال وإذا استمر الأمرعلى هذا الحل فهو الذى سيحاسب أحمد آخر الموسم وعليه أن يرد اليه القلم الذى اعطاه إليه. تتغير ملامح أحمد وهو يقول .

– انت متأكد من الطريق .

– أكيد طبعا وخلى بالك التسليم هيبقى هنا على طول .

ولم يكمل عبد الهادى الكلمة ويجد إشارة من كشاف صغير فى وسط الطريق .

– أيوه الراجل اهو .

تقف العربية ويظهر خمسة رجال اربعة ملسمين وهم إسماعيل ومجاهد ومسعد وفيصل وكان الذى يكشف وجه الرجل الذى اتفق مع عبد الهادى وينزل عبد الهادى من العربية وفى المقابل يقف مسعد يمنع أحمد من النزول وينظر أحمد اليه لم يعرفه من العمة المتواجدة على وجهه ويقول .

– خليك انت مفيش داعى تنزل .

يجلس أحمد فى خوف يأخذ الرجل عبد الهادى إلى اخر العربية ويقول عبدالهادى .

– انا جايبلك مانجه إيه . حكاية .

ويلف عبد الهادى ليصعد فوق العربية ليأتى بعدايات المانجه فيخرج الرجل طبنجة من جيبه ويضرب عبد الهادى على رأسهفيقع مغمي عليه يحمله بعيداً حتى لا يراه أحمد السواق ويدخل وسط الأشجار وبعد قليل ينظر أحمد إلى مسعد والملسمين ويقول .

– ايه كل دا بينزل عشر عدايات .

يأتى إسماعيل ويخرج أحمد من العربية فكان يحمل سلاح . وكان فيصل يفك نمر العربية من الخلف ومجاهد يحمل استبن من فوق العربية تتغير ملامح أحمد

- اطلع من العربية يا اسطى .

- ليه .

يرفع السلاح فى وجهه أحمد فيقول مسعد .

- لاالاتفاق مع عبد الهادى اننا مانقتلوش .

يصرخ أحمد وهو يقول .

- ياخاين يا ابن الكلب .

ويخرج أحمد من العربية ليعود إلى عبد الهادى فيضربه إسماعيل على رأسهفيقع على الأرض فيحمله على جانب الطريق ويركب الأربعةالعربية ويهربوا وكان الاتفاق أن مجاهد وإسماعيل يأخذوا العربية إلى البر الشرقى ليبعوا المحصول بالعربية وفيصل ومسعد يذهبوا إلى بيت عبد الهادى ليضعوا نمر العربية جانب البيت والاستبن . حتى يصدق أن عبد الهادى هو المتفق على سرقة العربية . وفى الصباح يرقد أحمد جانب الطريق يمر أحد المارين بعربيته يقف وينزل من العربية مسرعاً نحو أحمد فيجد فيه الروح يعود إلى العربية يأتى بماء فى ازازة ويسقى أحمد بعد أن سمعه يخطرف بالكلام

obeikandl.com

ويفوق أحمد قليلاً ويعود إلى الوعي وينظر إلى الطريق ويقول .

– العربية .

والرجل يقول له .

– هو انت كان معاك عربية وماشى من هنا فى الليل .

يهز أحمد رأسهوهو يدمع. بنعم .

– هوفى حد بيمشى فى الطريق دا بالعربية ولواحدك . يا اخى حرام عليك .

يقوم أحمد يركب مع الرجل ويلف الرجل العربية ويعود به إلى البيت بعد أن عاد إلى غيبوبة مرة أخرى.؟

ظل عبد الهادى فى نومه حتى الصباح فى ضيافة الرجل الغريب فى خيمة فى الجبل وكلما يعود إلى الوعي يعطيه الرجل ماء فيه منوم لينام مرة أخرى

وبعد أن شد أحمد حيله وفاق من الصدمة فى ذلك اليوم هرول مسرعاً إلى المزرعة ليخبر البيه بسرقة المحصول من قبل عبد الهادى فكان قد اقترب النهار من الانتهاء ولم يأتى أحمد ولا عبد الهادى من السوق ويجلس البيه فى الاستراحة ينتظرهم ويدخل عليه رحومة ليخبره البيه بقدموه وجلس مع البيه فى المكتب و يدخل أحمد مهرول وهو يظهر عليه تعب الطريق على رحومة وجوجوبيه وبصوت مذبوح من البكاء .

– هو فين انا هاقتله.

يقف البيه ورحومة بعد أن دخل عليهم أحمد بذلك الوجه .

– فيه إيه يا احمد؟

ويخرج البيه من خلف مكتبه ويقوم رحومه ويقترب من أحمد الواقع على الأرض وفى حزن وبكاء .

– عبد الهادى . اجر قطاع طُرق وسرق العربية بالمحصول يا بيه .

وفى صدمة يقول البيه .

– ازاى معقول عبد الهادى يعمل كدا .

– ايوه هو اللى عمل كدا . انا هقولك على كل حاجة . بس ترجعولى العربية . اللى بشتغل عليه . انا محلتيش غيرها . ابوس على ايدك يا بيه .

ويمسك أحمد يد البيه ويحب عليها ويقول وهو يميل عليه:.

– اهدى كدا وقل لى إيه اللى حصل ؟

– هاقول .. هاقول على كل حاجة.

ويحكى أحمد ما كان يفعله مع عبد الهادى من سرقة محصول وبيعه فى السوق لحسابه هو وعبد الهادى . وحكى له كل شئ . وبعد أن سمع البيه يقوم من على الأرض وهو غضبان وينظر إلى رحومة ويقول :

obeikandl.com

– شفت يارحومة بقينا لعبة فى إيد العيال .. واحد يرفع السلاح عليّ والتانى بيسرقنى فى مالى .

تتغير ملامح رحومة بعد أن قال البيه له ذلك الكلام:

– هتعرف تجيب عبد الهادى والا خلاص مابقيتش رحومة بتاع زمان .

– لا يا باشا . مش هارجع إلا بعبد الهادى المرة دى . وهتقول رحومة قالها .

يقترب من أحمد ويمد له يده وهو يجلس على الأرض .

– قوم يا أحمد ورينى العربية اتسرقت فين .

يقف أحمد مع رحومة ويذهبا من المكتب والبيه يغمض عينيه من الغضب ويضرب بيده على المكتب وهو يصرخ ويقول :

– بقى شوية عيال شغالين عندى يوسخوا سمعتى كدا!! ماشى يا كلاب.

***

يجلس إسماعيل مع أبناء عمه فى الغرفة فى بيت مجاهد ويمسك المال الذى باع به العربية والمحصول ويقسمه على أبناء عمه ويعطى كل واحد مبلغا ويقول :

– دا نصيب كل واحد فيكم يا ولاد عمى .. فعلا انتم نعم الضهر والسند .

ينظر مجاهد إلى الفلوس التى وضعها إسماعيل أمامه ويمسكها ويرجعها أمام إسماعيل ويقول:

– الفلوس دى ماليش فيها.. خد فلوسك أنا إن كنت اتشاقيت وعملت كدا فده علشان إسماعيل ابن عمى الكبير الفلوس دى فلوسك وحلالك .. انت هربت من البيه مدة طويلة بعد ما كنت شغال علشان تجيب حق جوازك، واهو دا رد على اللى ظلمك وخلاك مطرود من البلد وبتنام وسط الميتين .. إذا ماعرفتش تاخد حقك من اللى ظلمك بالتراضى خده بالقوة واحنا وقفنا معاك علشان نرجع حقك بالقوة .. عمرى ما هاخد حق وقفتى معاك . انا شايف الفلوس دى حلالك وحقك اللى خده البيه منك وكان سببه عبد الهادى اللى خلاك تسيب الشغل وخلاك هربان فى الجبل طول المدة دى.

ينظر إسماعيل إلى مجاهد بعد أن قال هذا الكلام وينظر إلى فيصل ومسعد فيجد كل واحد منهم يمسك الفلوس ويضعها أمام إسماعيل ويبتسم فى وجهه .. يقوم إسماعيل يأخذ أبناءعمه بالحضن..

يجلس إسماعيل فى بيت مجاهد لمقابلة هنية بعد أن أتت به عزيزة ويقول :

– استنينى يا هنية انا عند وعدى هنتجوز بعد السنة

- مستنياك يا إسماعيل ربنا معاك .. بس أمانه عليك ما تغيب .

- ماتخافيش ..أول اجازة هتلاقينى عندك .

وبات إسماعيل ينتظر الرحيل عن البلد بعد أن فكر له فضل عمه فى حل لهذه المشكلة مع الحكومة وكان كالآتى.. مافيش حد يقدر يقف قدام الحكومة والنقطة والمركز إلا الجيش، ففكر إسماعيل فى ذلك الكلام وكان عليه أن يسلم نفسه إلى الجهادية ليتجنب هجوم الحكومة على البلد والبيت ومن الممكن أن يتم القبض عليه فى أى وقت ويحاكم ويسجن فكان الحل أن يدخل الجيش وهو الآن يودع الأهل ليذهب إلى الجيش.

تقف هنية ويقف إسماعيل ويغلب هنية الدمع على فراق إسماعيل وتسلم عليه وتخرج من الغرفة وهى تبكى . ونظرات إسماعيل المبكية وهو ينظر إليها وهى تذهب من أمامه .. ويخرج بعدها إلى أبناءعمه ليجدهم واقفين فى انتظار خروجه من الغرفة يسلم على عمه فضل ويأخذه بالأحضان وعلى أبيه وهو يبكى وأمه وأخوه جمال وأخته وبعدها اصطحبه أبناء عمه وخرجوا من بيت مجاهد فلم يذهب إلى البيت خوفاً من أن يكون مراقباً فكانت هناك عربية تقف أمام الباب ليركب إسماعيل وأبناء عمه ويذهبون معه إلى مكان المعسكر ليطمئنوا أنه دخل المعسكر بأمان.

يقف إسماعيل فى طابور الصباح وهو يرتدى الزى الرسمى للعساكر وبجانبه فى الطابور شاب اسمه حمزة ..

وبعد أن قدموا طابور الصباح ومرت أيام على دخول إسماعيل الجيش وتعرف على ذلك الشاب وكانا يجلسان فى عنبر واحد وسريرين جانب بعضهم البعض فإذا استيقظ حمزة قبل إسماعيل يساعد إسماعيل فى ترتيب فراشه حتى يلحق الطابور . وبعد دخول إسماعيل الجيش بشهر مرض إسماعيل مرضا شديداً وارتفعت درجة حرارته ولم يجلس بجانبه فى ذلك المرض إلا حمزة، فكان يقوم إسماعيل فى منتصف الليل ليجد حمزة يتلو القرآن بجواره فكان مثلاً أعلى للصداقة التى تعرفها وقت الشدة، لم يمر وقت إلا تجد حمزة يمزح مع إسماعيل فإن كانت هناك خدمة كانا يرجوان الصف ظابط أن يكونا مع بعضهم حتى لا يتغيب أحد عن الآخر إلا عند النوم . حمزة شاب تخرج في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة بعد أن أخذ مسكنا جانبها هو وبعض الطلاب معه فى الجامعة، هو من محافظة الفيوم فكان يسكن فى الفيوم مع أهله فى إحدى القرى الصغيرة، هو شاب طويل القامة نحيف الجسم أبيض الوجه شعر الرأس أسمر، عيونه مرسومة على الوجه النحيف و كان يعرف ضيق الحال فى البيت بعد أن التحق بالأزهر فكان يعمل على أن لا يعود إلى الفيوم فى وقت الدراسة ليأخذ المال من أبيه ويعمل فى أحد الأفران ليكتسب المال الذى يصرف منه على شراء كتب التاريخ الخارجية والدين، وكان ملتزما بالحضور خلف الشيخ (عبد الحميد كشك) فى كل جمعة منذ أن كان يخطب فى

مسجد الطحان بالشرابية بمحافظة القاهرة وبعدها انتقل الشيخ إلى مسجد منوفى بالشرابية وهو لا يغيب عن خطبة واحدة يخطبها الشيخ كشك، حتى استقر الشيخ بعد ذلك إلى مسجد الحياة فى شارع مصر والسودان .

فكان حمزة يعشق صوت الشيخ ويتعلم منه فى كل خطبة يلقيها عن الشجاعة والجرأة، حتى تخرج حمزة من الأزهر فكان عليه أن يتقدم إلى الجيش ليبدأ بعدها حياته فى الدعوة، فذلك الشاب يعلم جيدا أن الجيش بالنسبة إلى شباب مصر هو كالسيف فى الحياة فعليك أن تنحنى لتمر هذه السنين فى الجيش بسلام وبعدها افعل ما تشاء. حمزة لا يترك صلاة تفوته إلا يصليها فى جماعة ولكن فى الجيش كانت الصلاة هى أكثر شئ محزن بالنسبة له أن تمر ويصليها بعد الخدمة فإذا مرت العشاء دون أن يلحقها فى جماعة فعندما يعود إلى العنبر لا يترك المصلية إلا قرب أذان الفجر فكان الجميع يتعجب من إيمان حمزة وقلبه الطيب المحب للغير وإلى أصدقائه .. ظلت الأيام تمر بين صداقة حمزة وإسماعيل وفى يوم حكى إسماعيل إلى حمزة ما حدث له وما دار بينه وبين البيه، وفتح حمزة قلبه إلى إسماعيل فكان يتكلم معه عن الإسلام وكيف أنه فى مهانة وضيق. وفى يوم اجتمع أربعة شباب على سرير إسماعيل وحمزة وجلوسوا يقلدون الضباط والشواشيه ويضحكون ويصمت الجميع ويقول أحد الأصدقاء:

– حمزة فعلا الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأكل اللحم ثلاثة أشهر .

ابتسم حمزة وقال :

– فعلا لم تُقد النار فى بيت رسول الله ثلاثة أشهر .

– ياه يبقى الواحد يحمد ربنا ان فى الجيش بناكل لحمة كل أسبوع .

ويرد حمزة فى هدوء .

– لا .. عليك أن تحمد الله على أشياء كثيرة بس مش عمال على بطال تسمع من المشايخ اللى بيحرفوا الأحاديث علشان الحاكم وتجويع الشعوب بحكم رسول الله.

يتعجب الجميع ويقول الشباب :

– مش فاهم ازاى يا حمزة ؟

– يعنى الإسلام برئ من الجوع والفقر والضعف . مايجيش شيخ يقولك الرسول لم يأكل اللحمة ثلاثة اشهر . وتسكت لا فكر من هو الذى لم يأكل اللحم ثلاثة اشهر . الرسول ومن هو الرسول رجل انزل عليه الله الوحى . يعنى كنا عليه حمل لم يحمله الجبل . هيفكر فى أكل وشرب والكلام ده . بس المشايخ بتاخدها فى إطار اننا نخلى الشعب راضى بالجوع . ووضعوا الإسلام بردو فى خانة الضعف .كان الرسول يأتى اليه رجل فيضع أمام بيته

obeikandl.com

القهامة ويتبرز أمام الباب . وكان الرسول يحملها ويركنها. دا كذب ما اخطلت الرسول باليهود إلا فى مكة . وعندما أعلن الإسلام على الملأ . أسلم مع حمزة وبعدها عمر.. مين عاقل يعلم عن حمزة وعمر يتركوا الرسول لليهودى . يلقى القهامة أمام بيته . الرسول ما كان ضعيفا قط . يقول أحد الصحابة رضوان الله عليهم . عندما يشتد علينا الكفار كنا نحتمى خلف رسول الله . وهو يمسك بيده سيفين ليسدهم عنا . يعنى مش أى كلام على المنبر ناخده محمل الجد . هناك رجال تريد أن يسمع البعض ولكن ليبقظ الناس عن ما يقول . فيضع كلمة قال رسول الله . وهو لم يكن حديث ولا قول للرسول . ؟

فيرد عليه الشاب .

– يعنى يا شيخ حمزة . عمر لم يأكل الخبز بالزيت . فترة طويلة .

يبتسم حمزة ويقول

– من عمر فى ذلك الوقت . كان امير المومنين . يعنى الشيخ يخطب للرؤساء والوزراء ويقول لهم ذلك انما . مايدخلش على قرية فقيرة ضعيفة وجعانة ويقول لهم ذلك إرضاء الحاكم . دا يبقى نفاق . وموضوع الرسول لم يأكل بالله عليكم الواد بيكون عامل مشكلة صغيرة فى البلد مع حد بيعرف ياكل ويشرب من الهم .

يهز الجميع رأسه ومنهم إسماعيل ويكمل حمزة:

- ولا بيعرف ياكل ولا يشرب فما بالك بذلك الرجل الذى يحمل هم أمة بأكملها، ننسب له الجوع والفقر طب والله انا لما بارجع البيت أمى بتعمل لى أكل كتير، إيشى محمر ومشمر ومن اللى قلبك يحبه . وييجى ابويا يقعد جنبى اقول له كُل، يقول لى انا شفتك شبعت .. يعنى انا اللى غايب من شهر والا شهرين لما ابويا وامى شافونى شبعوا ومابقوش ياكلوا معايا، فما بالك العبد يلقى ربه وجهها لوجه .

يوحد الجميع لله ..

- لا إله إلا الله .

أيوه والله . يعنى الرسول واقف قدام ربنا اللى خلق الخلق ورجع تانى للأرض .هيفكر فى أكل وشرب . ألم يأت إليه جبريل فى موقعة الطائف ويضع أمامه طبق من ذهب فيه عنقود عنب من الجنة .

يهز الجميع رأسه بنعم ويكمل حمزة :

- طب والنبى رجل أكَل أكْل الجنة هيشتهى أكل الدنيا!! الإسلام والمسلمين اتبعوا الغرب وهم فى غفلة يبقى ما نلومش الإسلام على ذلك الفقر والجوع لا نلوم المسلمين الذين يأتون بغير المسلمين ليحكموا بيننا فى أمور الإسلام فأرجو منكم ألا يستمع أحد منكم إلى حديث على المنبر إلا وعليه أن يعيده فى عقله ويعرف أن من المؤكد أن يكذب عليك وعلى الجميع على

لسان رسول الله، ولكن عليك أن ترجع إلى الجبل الذى نحتمى به وهو القرآن الكريم . وقال الله «ألم .. ذلك الكتاب لاريب فيه» صدق الله العظيم. خليهم بقى يدوروا على أخطاء فى القرآن مش هيلاقوا إنما من الممكن أن ينسب الحديث إلى الرسول من قبل المشايخ والمأجورين فأكيد الإسلام واضح وكامل بس احنا اللى لازم نرجع ليه علشان نبقى معززين زى أجدادنا وأسلافنا؟

وظل حمزة يخطب في الجميع كل يوم عن التزوير فى حياة النبى والصحابة ثلاثة أشهر، وفى ذلك الوقت كان يمر الشاويش بخطابات الإجازة الشهرية ويدخل عليهم . وينادى :

- الإجازات ست ايام، واحد .. مخيمر هريدى .

- افندم .

- وظل الشاويش ينادى الإجازة وقال:

- إسماعيل أحمد بيومى .

- رافض .

رد إسماعيل أنه يرفض أن ينزل إجازة

هو للمرة الرابعة يرفض الإجازة ويتعجب الجميع من ذلك الرفض ولكن كان إسماعيل يقول: إننى أحب الجلوس فى العنبر وسط العساكر وحمزة أحسن من أن أنزل إجازة . وكان الشاويش يتعجب من ذلك الرفض، ولكن لا يتكلم معه. وتمر الأيام

والشهور وفى الشهر السادس يدخل الشاويش العنبر وينادى على الإجازة ويرفض إسماعيل أيضاً . لم يتردد الشاويش في لذهاب نحو ضابط السرية ويدخل عليه ويعطيه التحية. يجلس الضابط على المكتب و أمامه تليفون وأوراق كثيرة يقرأ فيها..

– تمام يا افندم

– خير يا شاويش .

– يا افندم فيه عسكرى رافض الإجازة . ودى مش أول مرة . بقى له ست شهور بيرفض .

ينظر إليه الضابط فى تعجب ويقول :

– ست شهور!! ليه قتل قتيل والا إيه؟ ابعت هاته وتعالى معاه .

يغادر الشاويش المكتب نحو العنبر ويدخل يقول:

– إسماعيل كلم حضرة الظابط .

قام إسماعيل ومشى مع الشاويش ودخل على الضابط وأعطى التحية .

– العسكرى يا افندم .

ينظر إليه الضابط وإلى الخطاب الموجود أمامه ويقول :

– إنت إسماعيل بيومى ؟

obeikandi.com

- تمام يا افندم .

- رافض الإجازة ليه يا إسماعيل؟

- مافيش يا افندم بس مشاكل فى البلد .

- أيوه مشاكل زى إيه؟

وبعد أن أمر الضابط إسماعيل أن يجلس هو والشاويش أمامه على المكتب، وحكى إسماعيل أنه مطرود من البلد بأمر جوجو بيه، وبعد أن أنهى الحديث مع الضابط يمسك الضابط الخطاب ويفرق بيده ويخرج ورقة ثانية ويكتب أمرا بخروج أربعة عساكر مع إسماعيل الإجازة وأعطى الورقة إلى الشاويش وقال له :

- انزل الإجازة وإذا اتعرض ليك البيه أو المركز العساكر فاهمة هتعمل إيه .

وفى خوف يقوم إسماعيل من أمام الضابط ويعطى التحية إليه، فكان إسماعيل لا يريد أن يعود إلى البلد الآن ولكن امر الضابط فى الجيش لابد أن ينفذ .

وخرج إسماعيل وهو يرتدى الزى الملكى ومعه اربعة عساكر بالزى الميرى ويخرجان من المعسكر. ؟

وكانت البلد قد نسيت إسماعيل لطيله غيابه ست اشهر ولم يسمع عنه أى أخبار فى البلد وكانت اخر حملة نزلت البلد منذ ثلاثة اشهر قبل أن يتم نقل سعد المأمور من المركز فى حركة

التنقلات الماضية . ومن يومها لم تسمع البلد عن نزول عسكري إلى القرية أو كلمة إسماعيل بعد ذلك . وبعد صلاة العصر يجلس رجال القرية على كوبرى البلد فمنهم من عاد من العمل ومنهم من يجلس فى الهواء وكان الكوبرى على الجانبين مليئ بأهل القرية من الشباب والرجال .وينزل إسماعيل من عربية ومعه اربعة عساكر . وقف الجميع وظلت الانظار تتجه نحوه . والجميع . مش دا إسماعيل ولا إيه . ايوه بس باين عليه مسجون . فكان يمر وهو يبتسم إلى الناس ويضحك مع العساكر ويمزح معهم أمام الناس وكان يرشدهم على البيت . ويمشى امامهم . ولم يمر كثير من الوقت علم الجميع أن إسماعيل عاد إلى البلد . لم يلبث الخبر كثيراً فى القرية حتى أسرع أبناء عمه لمقابلته، فأتوا واحتضنوه ورحبوا بالعساكر فكان بيت أحمد ملئ بالناس والأحباب الذين يسلمون على إسماعيل . ولم تمر إلا ساعة ويأتى بوكس من النقطة للقبض على إسماعيل . فمن البلد من أخبر النقطة بعودة إسماعيل مع عساكر مستأجرين ليدخل البلد .. وقف الجميع فى فزع ونظر إسماعيل إلى العساكروهم يلتفون حول إسماعيل .. نزل الضابط من البوكس ويأتى نحو إسماعيل مسرعاً . وقف أمامه أحد العساكر وقال له:

– اهدى يا حضرة الضابط .. دا فى حماية الجيش .

يقف الضابط وينظر إلى العساكر فى ذهول ويقول :

– دا مجرم مطلوب القبض عليه .

– عارفين . اتفضل واحنا جايين معاك النقطة والأفضل نروح المركز على طول ..

تغيرت فكرة الضابط بعد أن كان يريد أن يمسكه فيقراء الجواب. ويهز الضابط رأسهبنعم وتقدم العساكر وإسماعيل وركبوا الجميع البوكس وذهبوا إلى المركز لم يتركوا أبناء عمه وأبوه فذهبوا معه . وعندما دخلوا المركز وقفوا أمام مكتب المأمور وفى ذلك الوقت علم جوجو بيه أن إسماعيل اتقبض عليه . فارسل المحامى الخاص به بعد أن رفع سماعة التليفون واخبره أن يحضر فكان مكتب المحامى جانب المركز. ليعرف ماذا حدث فى ذلك المحضر الذى قدمه البيه منذ أن اخذ إسماعيل منه الطبنجة والفلوس .

يجلس المأمور يقرأ فى المحضر الذى كان يكتبه سعد من قبله وتكلم مع ظابط النقطة وعرف أن سعد كان يعرف جوجو بيه . وهو الذى أمر بالقبض عليه .

ينظر المأمور إلى المأموريات ويتغير وجهه ويقول للظابط .

– خمسة وعشرين مأموريه .علشان خاطر عيون البيه

– انا عبد المأمور يا فندم .

يهز المأمور رأسهويقول .

– اطلع ابعتلى الواد ده .

يقوم الضابط من أمام المأمور ويخرج يأتى بإسماعيل

ويدخل مع العسكرى المتكلم وينتظر الباقى فى الخارج .يقف إسماعيل أمام البيه المأمور ويخرج العسكرى ورقة ويعطيها إلى المأمور وينظر اليها .ويهز رأسهوباحترم وهدوء يقول للعسكرى .

– اتفضل اقعد .

يجلس العسكرى الذي يقف مع إسماعيل ويطرق الباب ويدخل عسكرى يعطى إلى المأمور كارت . المحامى . وبعدها يخرج العسكرى بعد أن قال المأمور خليه يدخل .يدخل محامى جوجو بيه . ويبقى فى المكتب أمام المأمور إسماعيل وظابط النقطة وعسكرى السرية والمحامى وينظر المأمور إلى الاوراق المتواجدة فى المحضر ويقول .

– انت يالا اللى عملت كل ده .

– والله يا باشا . البيه هو اللى خلانى اعمل كدا .

يقاطع المحامى كلام إسماعيل ويقول .

– يعنى يا سيادة المأمور ينفع ارفع السلاح على راجل تخطى الستين عام .

ينظر المأمور إلى المحامى فى غضب ويقول .

– ولـو عنـده تسـعين عـام . راجـل واكل حقـى . عايزنـى اعمـل إيـه . اضربلـه تعظيـم سـلام .

يعـرف المحامـى أن مـن الممكـن أن المأمـور لا يعـرف مـين هـو جوجـو بيـه فيخـرج كارت مـن كـروت البيـه ويعطيهـا إلى المأمـور .

– اتفضل يا فندم .

ينظر المأمور إلى الكارت ويقول .

– انـا عـارف انـك محامـى جـو جـو بيـه . الـلى كان مشـغل المركـز والنقطـة لحسـابه . وبعديـن مفيـش أى شـبه عـلى إسـماعيل . ولا امسـك وهـو معـاه السـلاح ولا البطاقـة بتاعتـه مـع البيـه . يعنـى ممكـن يكـون البيـه بيتبـلي عليـه .

اثبت بقى أن إسماعيل كان شغال عند البيه .

– ازاى حضرتك . المحضر فيه كل حاجة .

– ايـوه المحـضر دا ورق يعنـى الـلى بيكتبـه ظابـط وعسـكرى يعنـى عشريـن جنيـه اخـلى البيـه بتاعـك .متهـم وسرق مـن إسـماعيل امواله لا قبـل لـه . انـت محامـى وعـارف القانـون كويـس . انـا لـو موجـود قدامـى مـا يثبـت أن الـواد ده سرق البيـه ولا حتـى رفـع عليـه سـلاح . كنـت بيتـه فى السـجن . بـس للاسـف .دى البطاقـة الـلى بتبقـى موجـوده فى المحـضر علشـان تثبـت أن إسـماعيل شـغال عنـد البيـه . وهـرب مـش موجـودة . قـول للبيـه . محـضرك فشـنك . وبلـغ

سلامى. وقوله صاحبك اتنقل من تلات شهور . علشان يجيب واحد بيفهم فى القضايا كويس .

يعلم المحامى أن ذلك المامور لا يحترم البهوات والبشوات فيخرج وهو محروج من ذلك الكلام . وبعد أن خرج ينظر المأمور إلى العسكرى ويقول .

– انت عسكري فى الجيش المصرى .

– ايوه يافندم .وشاكر جدا على الدفاع عن زميلى .

– لا شكر ولا حاجة .. ربنا يحميكم ..البلد أمانه فى رقبتكم وينظر إلى إسماعيل وهو واقف أمامه ويقول:

– إنت عملت كل ده يا إسماعيل وماسيبتش وراك أثر! إنت مش إسماعيل لا .. انت ابو السباع، ياللا يا ابو السباع ارجع الجيش ومافيش حد ليه عندك حاجة .

ولو البيه فكر يعمل معاك حاجة ماتتعبش زملاءك وتعالى لى وبلغ تحياتى لقائد السرية .. اتفضل .

يقوم العسكرى يسلم على المأمور ويأخذ إسماعيل ويخرج من المكتب وهو فرحان ويأخذ أباه و أبناءعمه بالأحضان ويقول العسكرى لأبي إسماعيل:

– المأمور سمي ابنك ابو السباع يا حاج ..

ويخرج إسماعيل من المركز وسط أهله وأقاربه الذين تواجدو أمام المركز والعساكر بينهم ويبدأ إسماعيل حياة جديدة دون أن يطارده أحد؟

تم

obeikandl.com

obeikandl.com